الرحلات البرازيلية:

الشرق الشمالي من البرازيل

رحلة في ولايات: بونانبوكو وريوقراندي دي نورتي وباراييبا

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي، محمد ناصر

الشرق الشمالي من البرازيل/ محمد ناصر العبودي - الرياض، ١٤٢٤هـ

ص ، سم

ردمك : ٩- ٣٩١-١٠-٩٩٦٠

١ - البرازيل - وصف ورحلات　　أ. العنوان

ديوي ٩١٨،١٠٤　　١٤٢٤٣١٣١/

رقم الايداع : ١٤٢٤/٣١٣١

ردمك : ٩-٣٩١-١٠-٩٩٦٠

رقم الايداع : ١٤٢٤/٣١٣١

ردمك : ٩-٣٩١-١٠-٩٩٦٠

مطبعة العلا ت: ٤٨٣٤١٧١- ٤٨٣٣٣٣٤

بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة:

الحمـــدلله رب العالميـــن، الرحمـــن الرحيم، الذي علم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والتسليم على نبينا الكريم، محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أمـــا بعـــد، فإننـــي زرت بلاد البرازيل عدة مرات، فكنت في كل الزيارات أقيد ما أشاهده أو ألاحظه وما يتعلق بذلك مما أسمعه وأثق في ملائمة نقله، حتى اجتمع لي من ذلك مقدار كبير من المذكرات رأيت أن مـــن المناســـب تقسيمها إلى عدة كتب صغيرات يختص كل كتاب منها بالحديـــث عن ولاية أو ولايات من بلاد البرازيل الواسعة الشاسعة التي وجدت أن السياحة فيها كالحديث عنها فيه متعة للسائح والكاتب، و قدرت أنه كذلك مما قد يعجب القارئ.

وقد اجتمع لي من ذلك عدة كتب هي:

«الحل والرحيل، في بلاد البرازيل» مجلدان لا يزال مخطوطاً.

«على ضفاف الأمازون» (وقد طبع).

«في شرق البرازيل» (مطبوع).

«على أرض القهوة البرازيلية» (مطبوع).

«في غرب البرازيل» (وقد طبع).

«في جنوب البرازيل» (مطبوع).

وها هو الكتاب السابع بعنوان: (في الشرق الشمالي من البرازيل)

ويـتحدث عن مناطق واقعة في ثلاث ولايات هي ولاية برنانبوكو التي عاصمتها (رصيفي) وقد سبق أن تحدثت عنها مفصلاً في كتاب (شرق البرازيل) وجاء الحديث عن عاصمتها في هذا الكتاب مجملاً لأنها كانت في طريق الذهاب إلى الولايتين الأخريين اللتين تحدث عنهما الكتاب وهما:

(ريوقراندي دي نورتي) و(بارايبا).

والحديث عنهما محصور في المشاهدات وما يتصل بها مما تتحدث عنه في العادة كتب الرحلات، وليس من باب الدراسات التي تتضمن الأرقام والإحصاءات، فذلك خارج عن هذا النطاق، وله مجالات في غير هذه الأوراق[1].

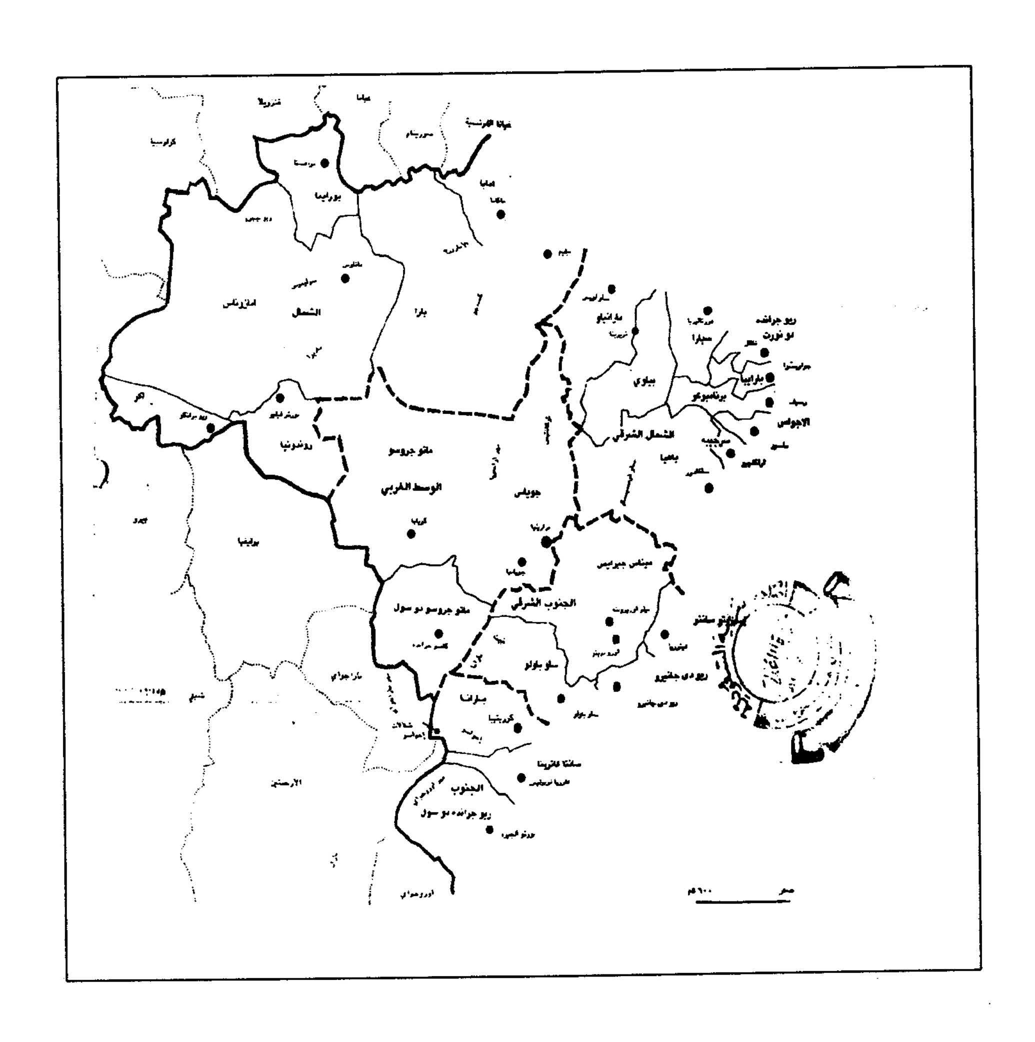
المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

---

[1] كتب المؤلف بعد ذلك كتباً أخرى عن البرازيل منها:
- العودة إلى البرازيل.
- في وسط البرازيل.
- شمال البرازيل.

قبل الوصول إلى البرازيل



الولايات البرازيلية

لـم يكـن الوصـول إلى البرازيل هذه المرة إلا بمثابة العودة إلى الوطن، وذلك لطول الرحلة التي قطعتها قبل الوصول إليها، ولكوني كنت قافلاً في تلك الرحلة الطويلة إلى بلادي التي سوف أتوجه إليها بعد البرازيل من جهة الغرب وكنت غادرتها إلى جهة الشرق.

وقد قيدت رؤوس أقلام عن تلك الرحلة التي ابتدأت من الرياض إلى سنغافورة، ومنها إلى ملبورن في استراليا ثم إلى مدينة سدني كبرى المدن الأسترالية، ومن سدني توجهت إلى مدينة نادي في جزر فيجي، ثم طرت منها إلى لوس أنجلوس في الولايات المتحدة عن طريق هونولولو، ومن (لوس أنجلوس) سافرت إلى ريودي جانيرو عاصمة البرازيل السابقة وثغرها الحالي عن طريق ميامي في فلوريدا، ومن ريودي جانيرو سافرت إلى مدينة كامبو قراندي، ثم طرت إلى (كويابا) عاصمة ولاية ماتوقروسو الكبيرة ثم منها إلى العاصمة البرازيلية (برازيليا) حيث اجتمعت بسفيرنا السعودي الاستاذ عبدالله الحبابي، وبحثت معه الأمور المتعلقة بمهمتي، وأجريت اتصالات فيها.

ومن العاصمة برازيليا عدت إلى مدينة ريودي جانيرو حيث قضيت فترة من الوقت في الراحة وكتابة التقرير.

ثم من مدينة (ريودي جانيرو) ركبت الطائرة إلى مدينة (رصيفي) عاصمة ولاية (برنانبوكو) في شرق البرازيل حيث ابتدأت هذه الرحلة في الشمال الشرقي من البلاد البرازيلية.

سبب الرحلة:

عندما بلغت في جولة سابقة في البرازيل إلى مدينة (كامبو قراندي) عاصمة ولاية (ماتوقروسو دي سول) أي ماتوقروسو الجنوبية، واجتمعت

بـــالإخوة أعضـــاء الجمعية الإسلامية فيها رأيتهم قد اشتروا أرض المسجد من قبل وسوروها وأقاموا فيها قاعة واسعة صاروا يصلون في جزء منها، ويـــتخذون جـــزءاً آخـــر فصلاً دراسياً لتعليم الأطفال مبادئ الإسلام، وقد جمعـــوا فـــيه مقـــاعد الدراسة وتبرع أحدهم وهو الأخ الكريم عبدالله محمد دعكور بإمامتهم في الصلاة وتعليم الأطفال في أيام العطلة الأسبوعية.

وقـــد أحجموا عن الشروع في بناء المسجد لعدم توفر المال اللازم للبناء، وإن كانوا قد أعدوا رسوم المسجد والخرائط التفصيلية له.

فشـــكرتهم على جهدهم في شراء الأرض والبداءة بجمع التبرعات لعمـــارة المسجد، وقلت لهم، إنه ينبغي لهم أن يبدءوا عمارة المسجد بما لديهـــم مـــن المال ولو كان قليلاً وإننا في رابطة العالم الإسلامي سوف نســـهم فـــي هذا المشروع بمبلغ رمزي في أول الأمر، ولكن الأهم في الموضوع أن يبدءوا العمل في بناء المسجد، وسوف ييسر الله لهم المال الـــلازم لإتمام عمارته، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾.

وقد عرفنا ونحن في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة لدينا مـــن المعلومـــات والمعرفة بأحوال المسلمين، وبخاصة في بناء المساجد أكـــثر مما لدى غيرنا قد عرفنا أناساً كثراً من الإخوان المسلمين شرعوا فـــي بـــناء مساجدهم دون أن يكون لديهم من المال ما يكفي لإتمام البناء ولكنهم باجتهادهم وشرح حالهم لإخوتهم المسلمين الذين يرون المسجد أو يعلمـــون بأمره وأنه قد وقف العمل فيه بسبب قصور النفقة، قد يسر الله أمـــرهم وتلقوا من الأموال ما لم يكونوا يظنونه، حتى أتموا بناء المسجد على وجه أكمل مما كان في أنفسهم من قبل.

فـــأبدوا قـــبلوهم لذلك واقتناعهم به، وعزمهم على تنفيذه، ولكنهم قالوا: لدينا شرط واحد وهو أن تحضر حفل وضع الحجر الأساسي لبناء المسجد، وتضعه بنفسك.

فقلت لهم إنني يسرني ذلك وإنني أحرص على أن يكون لي شرف الإسهام في وضع الحجر الأساسي لبيت من بيوت الله تعالى هو أول بيت يرفع في هذه المنطقة المهمة من أرض البرازيل الفتية، غير أن البت فيه محكــوم بما يفرضه العمل آنذاك من وجوب وجودي في مكتبي في مكة المكــرمة أو من حصول فرصة تمكنني من الحضور إلى البرازيل في المشاركة في ذلك العمل الجليل.

ولكـــنهم لم يقتنعوا بما قلته، ورغبوا إليَّ في أن يحصلوا مني على وعد قاطع بالحضور فوعدتهم خيراً.

وبعد ذلك بفترة حددوا لوضع الحجر الأساسي يوماً معيناً هو اليوم الثانـــي والعشرون من شهر تموز ١٩٨٨م، وكتبوا إليّ بذلك يستنجزون الوعــد بالحضور، ويطلبون معرفة اليوم الذي سأصل فيه، فلبثت متردداً بسبب الوقت والارتباط بالعمل، ولم أجبهم بالنفي أو الإثبات، حتى سنحت الفرصـــة حين كلفت بمهمة عمل في أستراليا وجزر فيجي الواقعة في المحيط الهـــادئ الجنوبـــي، فقـــررت أن أضم إليها هذه المهمة في البرازيل، وأن أمر الـــبرازيل بعـــد الانتهاء من جزر فيجي، فأشارك أولئك الإخوة الكرام فرحتهم بالبدء في بناء المسجد والنهوض بهذه المهمة الملقاة على عواتقهم.

ومـــع مـــا في كلمة (المرور) على البرازيل عند العودة من جزر فيجـــي مـــن الـــتجوز، فإن مجرد العزم على السفر وتعيين الوقت للقيام بمهمـــة معيـــنة يسهّل إضافة مدة قليلة أخرى إلى المدة الأساسية والقيام

بعمـــل مهـــم آخر، وإلا فإن إنشاء السفر من بلادنا إلى البرازيل لوضع الحجـــر الأساسي لمسجد من المساجد وما يكلفه ذلك من جهد ووقت مما قد يفت في العضد.

ومعلوم أن البرازيل هي من أبعد بلاد الله عن أستراليا وجزر فيجي ولكـــن بعدهـــا يقل وقعه على النفس عندما يعزم المرء على السفر إلى أستراليا ومنطقة الجنوب الهادئ.

ويبدو ذلك البعد واضحاً إذا ذكرت لك ما استغرقته تلك الرحلة من ساعات مع خطوط الطيران الدولية المعتمدة لمثل تلك البلدان.

فقـــد ســـافرت وحـــدي في الرحلة كلها وكانت أولى مراحلها من الـــرياض إلـــى سنغافورة مع الخطوط السعودية ثماني ساعات إلا ربعاً، ومن ثم مع الخطوط السنغافورية إلى مدينة ملبورن في أستراليا لمدة سبع ساعات ونصف من الطيران، ومن ملبورن إلى سدني ساعة واحدة.

ثـــم مـــن سدني إلى (نادي) في جزر فيجي لمدة خمس ساعات إلا ثلـــثاً، ومـــن فيجـــي إلى لوس أنجلوس مروراً بهونولولو عاصمة جزر هـــاواي مـــع الخطوط الأسترالية المسماة (كوانتس) والتوقف في مطار (هونولولو) لمدة ساعة واحدة دون تغيير الطائرة ، ومن فيجي إلى لوس أنجلوس خمس ساعات وربع.

أمـــا الســـفر من لوس أنجلوس في الولايات المتحدة إلى (ريودي جانـــيرو) فـــي الـــبرازيل فإن الموظف الذي كان في مكتب شركة (بان أمريكان) التي سافرت معها إلى هناك ذكر لي أن الرحلة تبدأ في الثانية إلا خمـــس دقائق ظهراً بتوقيت لوس أنجلوس وتنتهي في التاسعة والربع

مـــن صباح اليوم التالي حسب توقيت (ريودي جانيرو) مع التوقف لمدة ساعة واحدة في مطار (ميامي) دون تغيير الطائرة.

ولـــيس هـــذا كلـــه لفارق التوقيت لأن خط الطول الذي تقع عليه ريـــودي جانيرو ليس ببعيد عن موقع لوس أنجلوس من خطوط الطول، وإنما ذلك لطول مدة الطيران.

ومـــن (ريودي جانيرو) ركبت إلى كامبو قراندي على رحلتين إذْ نزلنا في مطار سان باولو كبرى مدن البرازيل، بل ثانية مدن العالم كله في الفخامة بعد مدينة مكسيكو عاصمة دولة المسكيك، فلبثت فيه ساعتين حيـــث ركبت طائرة أخرى مسافرة من سان باولو إلى (كامبو قراندي)، فشـــاركت في وضع حجرالأساس لأول مسجد فيها أي في كامبو قراندي وقد ذكرت تفصيل ذلك في كتاب (رحلة المسافات الطويلة) ومن (كامبو قراندي) ذهبت إلى ابرازيليا، ثم عدت إلى ريو دي جانيرو حيث ابتدأت منها هذه الرحلة.



ولاية برنانبوكو



ولاية: برنانبوكو **العاصمة:** رصيفي.

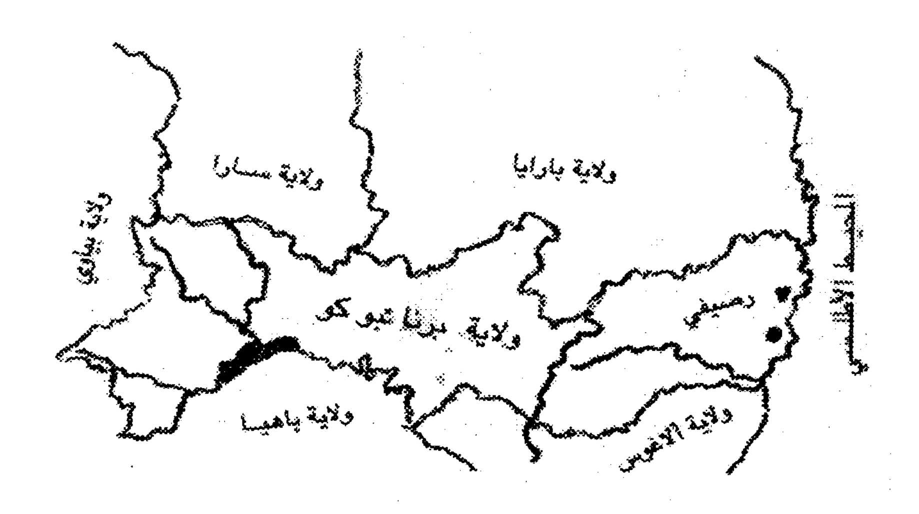
الموقع: وسط وشمال المنطقة الشمالية الشرقية.

عدد السكان: ٧٤٤٥٢١٦ نسمة. **المساحة:** ٩٨٩٣٧,٨ كم مربع.

الكثافة السكانية: ٧٥,٢٥ نسمة ١ كم مربع.

الأنهـــار الرئيسية: سان فرانسيسكو، كابيبيربي، أونا، إيوجوكا، باجيو، جايواتون.

نسبة الوفيات بين الأطفال: ٦٧. **نسبة الأمية:** ٣٢./. .



ولاية برنانيوكو

المديـــنة التـــي تتجه إليها رحلتنا الآن هي رصيفي عاصمة ولاية (برنامبوكو).

وبرنانـــبوكو من الولايات المهمة في البرازيل فهي من حيث عدد السكان تعتبر ولاية معمورة بالسكان بالنسبة إلى مساحتها.

ولكن أهميتها التاريخية في البرازيل تفوق ذلك بكثير فقد شهدت أحداثاً عظيمة من ثورات وطنية، ومن هجمات للغزاة من المستعمرين الذين أرادوا أن ينافسوا البرتغال على حكم أجزاء من البرازيل.

وذلك بحكم كونها قريبة نسبياً من أوروبا إذا نظرنا إلى الأجزاء الجنوبية من البرازيل وهي بعيدة عن العاصمة (ريودي جانيرو).

إضافة إلى وجود أغلبية بين سكانها من غير البرتغاليين الأنقياء إذْ ترجع أصول ٥٥./. من سكانها إلى السود من العبيد الإفريقيين المحررين وأنسالهم ونحو ٣٠./. من بقايا السكان الأصلاء ممن يسمون بالهنود الأمريكيين والبقية من ذوي الأصول الأوروبية من البيض.

ولكن حصل الامتزاج بينهم حتى تغيرت هذه النسب في الوقت الحاضر فصار الناظر إلى سكانها يجد أن الخلاسيين وهم ذوو اللون المختلط ما بين البيض والسود والمختلطين ما بين السود والهنود هم الأغلب على سكانها.

وقد تكلمت على هذه الولاية بأوسع من هذا في كتاب (شرق البرازيل) وهو كتاب مطبوع.

يوم الخميس ١٤٠٨/١٢/١هـ-١٩٨٨/٧/١٤م:

من ريودي جانيرو إلى رصيفي:

كان في وداعي عند مغادرة الفندق في (ريو) من لم أكن أظن أنه سيكون وهما فتاتان إحداهما (كلاريسا) وهي فتاة فرنسية وجدتها مصادفة في متجر أحد الصرافين العرب في ريو دي جانيرو فأخبرني أن جميع ما تملك من نفيس كانت وضعته في حقيقة يدوية، ومنه جوازها ونقودها

وبطاقـــة الائــتمان، فانتهب الحقيبة منها لص غير ظريف، وهو صبي خفــيف، فبقيــت دون أي مقوم من مقومات الحياة وسافرت الرفقة التي حضـــرت معهـــا إلـــى ريــودي جانـــيرو لأن تذكرة سفرها كانت مع المســـروقات، وقـــد طلبت مني أن أقرضها بضعة دولارات ثم حضرت لتوديعي، تعبيراً عن الاهتمام والامتنان، وكنت طلبت من موظف الفندق إذا جـــاءت إلـــى مكتب الاستقبال تسأل عني ألا يخبرها بوجودي لأنني لم أعتد على مثل هذا، إضافة إلى أن الحديث مع الآخرين يضيع عليّ الوقت.

والثانـــية، فـــتاة عاملة في مكتب الاستقبال في الفندق اسمها (كلاوزا) كنت منحتها شيئاً من الحلوان (البقشيش) أما مدير الفندق وكاتبه فلم يكونا موجودين.

وأمـــا الخـــدم من الرجال فإنهم لم يروا فيّ إلا ذلك الصيد العربي السمين الذي يمنحهم من الحلوان ما لم يكونوا ينتظرون.

ومع ذلك فإن وداع الجميع كان وداعاً مؤثراً ربما كان ذلك لكوني لم أعرف في هذه الأيام أحداً غيرهم.

وركبـــت إلـــى المطار مع سائق أجرة كان استدعاه مكتب الفندق بأجرة تعادل أحد عشر دولاراً أمريكية وانطلق السائق الودود بسيارته مع شـــوارع (ريـــو) الممتدة المكتضة على سعتها بالسيارات، وهو يحدثني بالبرتغالـــية عن (ريو) وجمالها إلا ما كان من أمرين– على حد قوله– وهمـــا (اللادرو)، واللادرو هو اللص بلغتهم، والثاني: الكروزادو وهو عملـــتهم الوطنية التي صارت تنقص قيمتها يوماً بعد يوم، ويترتب على ذلك أن ترتفع الأسعار، ويلتهم الغلاء رواتب ذوي الدخول المحدودة.

والحقـــيقة أنـــه لولا هذه الشوائب لحكمت بأن (ريو) أحسن مكان في

العـــالم لقضاء الإجازة، مع أنني لم أصادف فيها أية مصاعب، ولم أتعرض لأي شـيء مما ذكـر، بل إن تدنـي الكـروزادو وهـو العملـة البرازيلية كان فيه نفع لـي لأننـي صرت أصرف الدولار بعملتهم التي تقل قيمتها كل يوم، وبذلك تقل أجرة الفندق لأنهم لا يرفعون أسعار الفنادق ونحوها إلاّ في أول الشهر.

وأما اللصوص فقد كفاني الله شرهم ولست من المتعرضين لأذاهم، فأنا لا أغادر فندقي في الليل، بل أظل أكتب فيه حتى يغلبني النوم.

وصـــلت المطار وأريت موظفة أحد مكاتب الترحيل تذكرتي التي كتب علـيها أنهـــا لرصيفي فأخبرتني الموظفة أن الرحلة التي تعمل فيها الآن تقوم قـــبل رحلتـــي بربع ساعة، ولكنها تصل بعد رحلتي لأنها تمر بمدينة سلفادور عاصـــمة ولايـــة (بهية) فاخترت الرحلة التي حجزت عليها وقد اختارتها لي موظفة في مكتب شركة الطيران في شاطئ (كوباكابانا) في ريو.

ودخلـــت قاعة المغادرة المعهودة مع الداخلين من دون أن يعترضني مـــثل غـــيري معترض من مفتش لحقائب الأيدي أو الأيدان حذراً من حمل الأســـلحة أو اختطاف الطائرات فالقوم لا يعرفون هذا في رحلاتهم الداخلية، ولـــيس عـــندهم مشـــكلات سياسية يخشون أن تحمل بعض مواطنيهم على خطف الطائرة من باب الاحتجاج أو الإحراج للحكومة الحاكمة.

وحتى بطاقة صعود الطائرة لا يسألك أحد عنها، وإنما تحتاج إليها مـــن أجـــل أن تختار المقعد الذي يناسبك من مقاعد الطائرة من موظفة تجدهـــا في مكتب داخل قاعة المغادرة، وكثيراً ما تبسط أمامك خريطة الطائرة لتعرف المقاعد الخالية منها فتختار ما تشاء منها.

وقـــد اخـــترت مقعداً بجوار النافذة من الجهة اليسرى وهي الجهة

الغربية للطائرة لأنها سوف تتجه من (ريو) جهة الشمال الشرقي، وذلك لكوني سبق أن سلكت الطريق نفسه ولكن كان مقعدي في الجهة اليمنى أي في الجهة الشرقية من الطائرة، وذكرت ذلك في كتاب (على ضفاف الأمازون) الذي نشره النادي الأدبي في مدينة (أبها).

الطائرة من طراز بوينغ ٧٣٧ تابعة لشركة (فارج) الكبيرة ومليئة بالركاب الذين كان ٧٠./. منهم من البيض مع أنها مسافرة إلى مدينة (رصيفي) التي ذكر دليل سياحي فيها كنت ركبت معه في زيارتي السالفة إليها أن ٧٠./. من سكانها من العبيد في الأصل ولكن ٤٠./. منهم صاروا الآن من الملونين ولم يبق فيها من السود الخالصي السواد إلا الخمس أي ٢٠./..

غادرت الطائرة مطار (ريو) في العاشرة و٨ دقائق ضحى بتأخير ٢٣ دقيقة عن الموعد المحدد لقيامها في الأصل وهو العاشرة إلا ربعاً.

وقد أعلن مكبر الصوت فيها بالبرتغالية والإنكليزية أن الطيران إلى مدينة (رصيفي) سيستغرق ساعتين ونصفاً على وجه التقريب، وأنه طيران مباشر لا توقف فيه.

نهضت الطائرة وسط جو صاح تمتعت فيه برؤية الأرض البرازيلية الخضراء، وملأت عيني من روابي (ريو) وشطآنها الجميلة التي لا يمل النظر إليها حتى غابت في ضباب البعد كما تغيب شخوص الأحلام في المنام.

وصارت الطائرة تحلق فوق شاطئ المحيط الأطلسي مطاولة للقارة الأمريكية الجنوبية التي تشرع فيه في متعة لا تعادلها متعة. ولم يكدر ذلك

إلا وجود غيم خفيف كان يتطفل علينا أو نحن نتطفل عليه- لا أدري- ولكنه على أية حال، كان يلقي بعض الظلال على هذا المنظر الجميل.

وقد وصلنا إلى ساحل أقل خضرة حتى خِلت أنه ساحل صحراوي لولا أن الناحية ليست فيها منطقة صحراوية إلا ما ذكر من كونها تتعرض للمحل والجفاف في بعض السنين. مع وجود الأنهار والبحيرات فيها غير أن تلك الأنهار تجف إذا ما احتبس عنها المطر، فيهلك الزرع، ويجف الضرع، ولكن ذلك لا يكون إلا كما يكون الأمر النادر غير المتكرر الحدوث.

وذكرت رحلتي السالفة من ريو دي جانيرو إلى مدينة (بيلم) التي معنى اسمها (بيت لحم) وهي عاصمة ولاية (بارا) التي تعتبر من مناطق الأمازون، ذات الغابات الكثيفة والأنهار العظيمة والمياه الهائلة وإن كانت نازلة عن ولاية الأمازون الشهيرة التي عاصمتها مدينة (ماناوس) وقد نزلنا في تلك الرحلة بعدة مطارات للمدن الشرقية والشرقية الشمالية قبل الوصول إلى مدينة (بيلم) وهي مطارات سلفادور ورصيفي، وفورتا ليزا، وسان لويس ثم بيلم.

وقد ذكرت ذلك في كتاب (على ضفاف الأمازون) المطبوع.

وقدموا اليوم أثناء الطيران وجبة غداء كبيرة المقدار، إلا أنها رديئة النوع بالنسبة لي لأن الصحن الرئيسي فيها عماده لحم الخنزير وحتى السلطة وضعوا عليها شرائح حمراً منفرة من لحم الخنزير.

وما رأيت طائرات من طائرات العالم يقدم فيها لحم الخنزير في أكثر الوجبات مثلما هو عليه الحال في طائرات هذه القارة الأمريكية الجنوبية من أقصاها جنوباً إلى أقصاها شمالاً، مع كثرة اللحم الحلال

عندهم من البقر والغنم، ولذلك ينبغي على المسلم أن يستعد بطعام خاص له أو أن يخبر أهل الطائرة قبل الطيران بوقت كافٍ إن يطبخوا له السمك وحده غير مخلوط أو مقلي بشيء مما مسه لحم الخنزير.

كانــت الطائــرة تمعــن فــي سيرها جهة الشمال لا تكاد تبرح شاطئ المحــيط ولكــن النظر من جانبي يقع أكثره على اليابسة من القارة، ولاحظت أن خضـــرة الأرض قـــد عـــادت إلى الشطآن، فصارت الطائرة تسبح في جو أخضر من خضرة الأرض التي تتلاقى في الأفق البعيد بخضرة المحيط الـــذي يلتصق في مرأى العين بخضرة السماء وهي تبدو وكأنها هي قد أطبقــت علـــيه، ونحن بين السماء والماء، كما جاء في أحد الآثار التي وصفت ركوب البحر.

مطار رصيفي:

(رصيفي) مدينة رئيسية من مدن البرازيل وهي المدينة الرابعة من مدن البلاد من حيث عدد السكان بعد (سان باولو) التي هي الأولى تليها (ريـــودي جانيرو) بعدها (بيلو أوريزنت) عاصمة ولاية (ميناس قراس) التـــي يعنـــي اســـمها ولاية المعادن المتعددة كما يعني اسم المدينة (بيلو أوريزنـــت) الأفق الجميل، وقد وصفت هذه المدينة عند زيارتي لها في كتاب (وسط البرازيل).

وأمـــا الـــرابعة فإنها مدينة (رصيفي) هذه وإن كان بعض الناس يجعل الرابعة (سلفادور) عاصمة بهية ورصيفي الخامسة ولكن الصحيح ما ذكرته.

وأول مـــا ينبغي التنويه به أن اسمها (رصيفي) اسم عربي أصيل وهـــو مما دخل في البرتغالية من العربية ومعناه: الميناء، لأن الرصيف

هو الميناء البحري كما كان معروفاً في الأندلس

هبطــت الطائرة في مطار المدينة في الواحدة إلا الثلث ظهراً، بعد طـــيران استمر ساعتين و ٣٢ دقيقة، أي ضعف المسافة التي تفصل بين الرياض وجدة.

والجـــو فيها غائم، ولكنه ليس بارداً كبرد مدينة (ريو) وذلك لكون رصيفي قريبة من خط الاستواء فهي لا تبعد عنها إلاّ بـــ ٨ درجات جهة الجنوب، أي إن خط الاستواء يقع منها جهة الشمال.

لم يعجبني المطار فأبنيته صغيرة ضيقة بالنسبة إلى مطارات المدن الكبـــيرة في البرازيل التي تكون في العادة جميلة واسعة، ولا حالته من النظافة والصيانة فهو ليس بذاك، وربما كان مردود ذلك إلى كونه مطاراً قديماً لم يجر عليه تجديد.

إلا أن المطـــار كـــان غاصاً بطائرات كثيرة تنتمي إلى العديد من شـــركات الطيران الداخلي البرازيلية إلى جانب طائرات شركة (فارج) الكبيرة التي تسير رحلات داخلية ورحلات خارجية.

وقد انهمر المطر ونحن داخل مبنى المطار فخشينا على أمتعتنا أن تـــتعرض له لأنهم أحضروها على عربة ضخمة كالجرار الزراعي إلا أنهم غطوها بشراع كبير.

ودخلـــت حمـــام المطار عندما تأخر إحضار الأمتعة فوجدته قذراً مهمـــلاً على خلاف ما عليه الحال في المدن البرازيلية التي أعرفها في وسط البرازيل وجنوبها.

لـــم نمـــر بأية إجراءات رسمية لأن الرحلة داخلية، وإنما أسرعنا

بحمــل الأمتعة وجاء سائق أجرة حمل حقيبتي إلى سيارته وأنزلها بنفسه عــندما وصلت الفندق وطلب أجرته ستمائة (كروزادو) وذلك يعادل أقل قليلاً من دولارين أمريكيين اثنين.

وهذا رخص متناهٍ عرفناه من البرازيل.

مــع العلــم بأن الفندق الذي نزلت فيه هو ليس بالبعيد من المطار واســمه فــندق (بوفياج) سمي على اسم المحلة التي هو فيها وهي محلة (بوفــياج) الواقعــة على شاطئ المحيط الأطلسي وهو فندق جيد الموقع راقي الخدمة أظنه لا يقل مستواه عن ذوات النجوم الأربع.

وكنــت نزلت فيه في المرة السالفة إلا أن ارتباطي بمواعيد سابقة متعلقة بالعمل آنذاك لم يتح لي أن أشفي النفس من الإقامة فيه فقررت أن أعوض ذلك في هذه المرة.

أنزلونــي في غرفة في الطابق الخامس من الفندق واقعة في جهته الشــرقية حيــث المحيط الأطلسي العظيم ودونه مما يلي المدينة شارع الشــاطئ المنسق الجميل، وهي ذات شرفة واسعة تعودت أن أجلس فيها فــي المرة السابقة وأراقب من يكونون في الشاطئ تحت الفندق غير أن المطر منعني اليوم من الجلوس في الشرفة.

وقــد ازداد المطــر وتواصل فأخذت مظلة كانت معي وهي التي تسمى الشمسية في بلادنا وهنا يصح أن تسمى المطرية لأن المرء يتقي بها المطر لا الشمس.

ونزلــت أبتغي السير في الشارع فرأيت المطر قد اشتد، والشارع يســيل فوقفت تحت مظلة واسعة تظل باب الفندق ورأيت ضابط شرطة

مثلـــي ينـــتظر أن يخف المطر فسألته عن الأمن في هذه المدينة، فقال: إنه جـــيد، إنه ليس مثل (ريو) أو (سان باولو) إلا أنه ينبغي لك إذا خرجت من الفندق في الليل أن لا تخرج بساعتك في معصمك لأنها قد تنتهب منك.

وهـــذا أمر صحيح فيما علمته من حال الأمن في هذه المدينة التي هـــي أكـــثر أمـــناً من ريو دي جانيرو كما قال هذا الضابط، ولن أذكر تفصـــيلاً كـــل ما رأيته في المدينة في هذه السفرة لأنني سبق أن ذكرت شـــيئاً مـــن ذلك في كتاب (شرق البرازيل) الذي قيدت فيه مذكراتي عن الرحلة السابقة، وهو كتاب مطبوع.

ومـــن الفروق بين هذه المرة والمرة السالفة، أن الجو كان صاحياً طـــول الوقت في المرة الأولى وشاطئ البحر كان مزدحماً بخلاف هذه المرة التي استمر فيها المطر حتى منتصف الليل والشاطئ كان مقفراً.

وشيء آخر وهو أنني في هذه المرة وحدي وكان يرافقني في المرة السالفة الشيخ عبدالعزيز المسند، ومع ذلك فإن فضولي ومحبتي للمعرفة يحملانني على أن أحادث كل من صادفته يحب الحديث، فيبدد ذلك عني وحشة الوحدة.

ومـــن ذلـــك أن فـــتاة في مكتب الاستقبال في الفندق أبدت اهتماماً خاصـــاً عند ما علمت أنني عربي وذكرت أنني أول نزيل عربي عندهم تصـــادفه، وأخذت تسألني بإنكليزية ضعيفة عن العرب وبلادهم ومن أين جئـــت إلـــى رصيفي)؟ فأخبرتها أنني قدمت إليها من (ريو دي جانيرو) وأنني قبلها كنت في كامبوقراندي وبرازيليا، فبادرت تقول لي: ما رأيك في المرأة البرازيلية؟

فقلـــت لها: يا هذه، أنا لست ممن يتعرفون على النساء، ولعلك لاحظت أنني لم يكن معي منهن أحد، فمن أين تكون لي المعرفة بالمرأة البرازيلية؟

فقالت: إنني أريد أن أعرف رأيك فيها من خلال رؤيتك للمرأة في الشارع.

فقلـــت: إنني أحكم بأنها في الشارع مثل الرجل في معاملة الغريب معاملة كريمة لا تتعدى نطاق العرف، كما أنها تبدو غير مهتمة بمظهرها أكـــثر من الاهتمام بمخبرها كما تفعل بعض الشرقيات اللآتي يكثرن من التزين والتبختر ولو بشيء لا يليق بهن، أولا يتفق مع طبيعة أجسامهن.

مطاعم الشواء:

تتمـــيز الـــبرازيل بـــنوع غريب من مطاعم الشواء سبق أن ذكرته في بعـــض كتبـــي وأزيـــد هـــنا شـــيئاً مـــن وصفه لأني دخلته اليوم، ويسمونه (تشرسكاريا).

والمطعـــم الذي دخلت اليوم من هذه المطاعم رسموا على حائطه صـــورة ضـــخمة لثور ضخم بأكبر من حجمه الطبيعي أربع مرات أو خمـــس مرات وأشاروا إلى كل جزء من أجزاء جسمه بسهم انتهى باسم اللحم الذي يؤكل من ذلك العضو منه.

ذهبت إلى المطعم والمطر يهطل، والأرض مبللة وليس بالبعيد إذْ سرت على قدمي وهو واقع كالفندق على شارع الشاطئ، فوجدت بداخله مـــائدة طويلة حافلة بكل ما يخطر على بالك وما لا يخطر على بالك من الـــبقول والخضـــرات والسلطات، ومن أنواع الخبز إلى طبخات الأرز المتـــنوعة، وأنواع الخضرات والبقول المطبوخة تأخذ من ذلك ما أردته بنفسك سواء أكثرت أو أقللت.

ثـم تخـتار مائدة من الموائد فتضع ذلك عليها وتبدأ بالأكل وإذا بعمـال المطعـم يحضرون إليك شواء حاراً قد أخرجوه من الفرن لتوه يخـيرونك في أي قطعة تريد منه وهل تريد قطعة سمينة أم قليلة الدهن، ثـم يأتي بعد ذلك العامل مباشرة أو بعد قليل من الوقت عامل آخر معه نـوع آخـر مـن اللحم المشوي من موضع آخر من جسد الثور، وهكذا يظل العمـال يتعاقبون عليك يعرضون أنواع الشواء الذي يكون منظوماً في قضيب قوي من الحديد.

حتى إذا عرضوا عليك كل أنواع اللحم المشوي من لحم البقر جاء غـيرهم بلحـوم مشوية أخرى من لحم الغنم والبط والدجاج وأحياناً من الطيور حتى العصافير.

وكل الذي يسألونك عنه هو نوع الشراب الذي تريده فذلك له سعر خاص يضاف إلى سعر الأكلة المحدد في الأصل.

وبعـد ذلـك القهوة البرازيلية المجانية ثم تقاضوا ثمن هذه الوجبة الكبيرة أربعة دلارات ونصفاً، وهذا أرخص بنحو الثلث من ثمن الوجبة نفسها في مطاعم (تشر سكاريا) في ريو دي جانيرو.

تسقى ديار الفسدة:

اشـتد المطر وامتد حتى نمت في منتصف الليل وهو يهطل، وإن كان يضعف أحياناً ويقوى أحياناً أخرى، وقد منع ذلك الناس من الخروج فاقفرت الشوارع وانحبس الناس في بيوتهم، وقد حبست نفسي في الفندق إلا أنني أقبلت على الكتابة التي لا يضرها الحبس.

وذكرت لمناسبة كثرة هطول المطر مثلاً عامياً نجدياً يقول: "تسقى

ديار الفسدة، ولا تسقى ديار الحسدة" فالفسدة، جمع فاسد، والحسدة، جمع حاسـد، ومعنى المثل أن المطر يسقي ديار القوم الفاسدين في عقائدهم أو أفعالهم ولكنه يمتنع عن أن يسقي ديار الذين يتفشى فيهم الحسد، ويشيرون بذلك إلى قلة الأمطار في بلادهم الصحراوية ويرجعون ذلك إلى تفشي الحسد بينهم.

يوم الجمعة ٢/١٢/١٤٠٨هـ- ١٥/٧/١٩٨٨م:

يوم المطر أيضاً:

أصبحنا على جو ماطر ومازالت الريح جنوبية رطبة منذ أمس، وقد تولت كبر الريح أو كبرياءها فروع أشجار النارجيل النحيلة التي كانت ولا زالت منذ أمس تواصل الانحناء والركوع للعاصفة بدلاً من أن تقاومها فتسلم بذلك من الكسر أو العصر.

ومازالت صفحة المحيط الزرقاء الداكنة، تتلقى الأمطار الغزيرة ولكنها تضيع فيها كما يضيع المعروف عند اللئام.

وكانت أولى الفقرات التي لا تستحق الذكر في هذا الجو الماطر المتصل تناول طعام الإفطار البرازيلي السخي الذي يكون داخلاً في أجرة الفندق في جميع الفنادق في البرازيل، فما من فندق تنزل فيه ويحتسب عليك وجبة الإفطار بثمن إضافي، وإنما تختلف الوجبة كثرة وقلة بحسب منزلة الفندق، فكلما كانت نجومه أكثر وأجرته أكبر، كان طعام الإفطار فيه أفخر.

وهذا الفندق فطوره المعتاد على طريقة المائدة المفتوحة التي وضعوا عليها الفاكهة وأنواع الجبن واللحم الحلال والحرام، ومنه اللبن من الرائب والحليب والزبد أكثر من نوع، والخبز عدة أنواع ثم القهوة والشاي والكاكاو.

كـــان مطعـــم الفندق حافلاً بالنزلاء لأنهم كلهم مثلي قد حصرهم المطر وأغلـــبهم من البرازيليين الذين هم الأوربيون البيض المتغيرون فيهم نسبة من الملونيـــن، وهم من أنحاء البرازيل لأن السياحة الداخلية في البرازيل منتشرة، لســـهولة الانـــتقال ورخص الأسعار والمواصلات واتساع رقعة البلاد، بحيث يكون من يذهب إلى جهة من الجهات كأنما ذهب إلى بلد آخر.

فتاة المقهاة:

كتبـــت فـــي الفندق حتى أعييت وكنت أنتقل من غرفتي إلى قاعة الجلـــوس في الفندق أبتغي التغيير في المجلس وأنا أحمل أوراقي وقلمي وقـــد ســـودتها بما تبقى مما لم أكن كتبته من المقامة البرازيلية التي هي جزء من كتاب (المقامات البلدانية).

ثـــم أخـــذت مظلتي وتركت دواتي وأوراقي وخرجت أبتغي شيئاً جديداً أراه أو أســـمعه وذهبت إلى مقهاة من مقاهي الشاطئ، وإن لم تكن على البحر وإنما هي على الجانب الموالي للمدينة منه وكنت أعرفها من قبل.

فوجـــدت المقهـــاة تكاد تكون خالية من الرواد إلا من اثنتين كانتا جالستين على مائدة بعيدة ومن كهول ثلاثة على مائدة أخرى.

وطلبت فنجاناً من القهوة وأنا أفكر في كوني لم استفد هذا اليوم إلاّ مـــن الكتابة وتزجية يوم الإجازة، وإذا بإحداهن تأتي إلى مائدتي وتجلس مـــن دون استئذان إلا من ابتسامة كابتسامة المعتذر وهي تقول: إن هذا الـــيوم يـــوم ماطر ولا أحد في المقهاة، قالت ذلك بلغتها البرتغالية التي صرت أعرف منها قدراً لا بأس به هو الذي أحدث به الجميع لأن الذين يعرفون الإنكليزية فيهم قليل.

ثـــم صـــارت تحدثني عن نفسها بأنها من مدينة (فورتاليزا) غير البعيدة

من رصيفي هذه، وأنها من أسرة فقيرة يبلغ عدد أولادها اثني عشر فيهم ثمان من البنات وأنها تعرفت على رجل في بلدتها وهي في سن الرابعة عشرة وأن الرجل قاربها فحملت منه، فانتقلت إلى مدينة (رصيفي) هذه لئلا يراها الناس حاملاً من غير زواج، وهو أمر لا يليق بمكانة أسرتها من ناحية الاجتماع.

قالت: ومن ذلك الوقت توظفت لكي انفق على نفسي وطفلي، ولكن الوظيفة ليست بذات جدوى اليوم، ولذلك تركت الوظيفة، وصرت أرتاد أمثال هذه المقهاة، أبحث عن سائح وحيد، ولكن الفصل الآن ليس فصل سياحة، واليوم كالأيام الماضية يوم مطر، حبس الناس عن ارتياد مثل هذه الأماكن.

فسألتها عما تشعر به وهي في هذه الحالة؟ فأجابت: بأنها تشعر شعور الندم، ولكن ليس أمامها أن تفعل غير ما فعلته.

تقول لي ذلك وهي تعرف أنني لم أظهر ما يظهره من تبحث عنهم من الرجال، ولكنها لم تجد من تحدثه في هذا اليوم غيري تريد أن تحصل بذلك على شيء من المال، ولو قليلاً يكفي مؤنة اليوم.

أما أنا فقد استغرق بي التفكير فترة في كونها لا تعرف عني شيئاً وفي كون حظها الذي ستعتبره عاثراً قد أوقعها أمام رجل ليس عنده إلا الفضول، ومحبة الإطلاع على ما تقول.

وعجبت لهذه الصورة الإنسانية المأسوية التي لم تمر بي من قبل، ربما لكوني لا أذهب إلى الأماكن التي يرتادها أصحاب وصاحبات مثل هذه القصص، مع أن المقهاة مقهاة معتادة يرتادها الناس في العادة مع أطفالهم وأسرهم، وكون البرازيليين في الغالب لا يلقون للجلوس فيها وفي أمثالها بالاً حتى ولو كان يجلس فيها من لا يشاركونهم الرأي أو الفعل.

وأشـــرت على هذه المرأة أن تنظر إلى مستقبلها وأن تغير حياتها إلـــى الاســـتقامة حتى تضمن لها ولطفلها حياة نظيفة، وإن كانت النظافة المعنوية عندهم غير ما هي عندنا، وذكرتها بالعاقبة الوخيمة لمثل اللاتي عملن كعملها ولا أدري أاقتنعت أم لا.

هـــذا وقد استمر المطر واستمر الحبس، وخشيت من ضياع وقت كنـــت أدخـــره لـــزيارة مناطق في البرازيل لم أزرها من قبل. إلا أنني استفدت من ذلك في الكتابة والراحة، و(رب ضارة نافعة).

يوم السبت ١٤٠٨/١٢/٣هـ - ١٩٨٨/٧/١٦م:

صباح شامس، ولكن:

أصـــبحنا على شمس مشرقة، وكأنما كان الناس قد صحوا من نوم مـــثلما صـــحت الشـــمس من الغيم فخرجوا إلى الشوارع وانتشروا في الشاطئ غير أنه ما أن حانت الظهيرة حتى عاد الغيم الكثيف يجلل الآفاق ومـــع ذلـــك كان التمشي على الشاطئ جيداً، إذ الجو كان معتدلاً، فسرنا على الشاطئ وظهر الناس من مخابئهم.

وقـــد كـــثر المتـــنزهون في الشاطئ ومعهم أطفالهم وكأنما حرموا منه طويـــلاً، وبعضهم أحضر معه كلبه، وبعضهم أحضر كرته فصار يلعب بالكرة مع أصدقائه، وكثر باعة المشروبات الغازية، ومنها الكوكاكولا و(القوارانا).

ولـــم يكـــن هذا الشاطئ بدعاً من شطآن كثيرة في البرازيل فكان رملياً خالياً من أي كدر من حصى أو غيره، فكان الاسترخاء والاستلقاء والحملقة في السماء هي من أجمل الأشياء فيه.

وبعـــد الظهر عاد المطر فانكمش الناس عن الظهور، وعدت إلى الكتابة فأكملت ما أردت كتابته من كتاب (المقامات البلدانية).

وكنت سألت عدداً ممن لقيته من الناس عن ولاية (ريو قراندي دو نورتِ) التي عاصمتها ناتال، ولأنني سوف أسافر إليها غداً أو بعد غدٍ بإذن الله.

ولم أبحث عن جولة سياحية في هذه المدينة: مدينة (رصيفي) وذلك لكوني جلت فيها في المرة الماضية وكتبت عنها ما كتبته وذكرت ذلك في كتاب (شرق البرازيل)، إضافة إلى أن الجولة تحت المطر تكون ناقصة لأنه لا يمكن التجول في الحدائق والميادين، ولا تصوير ما يعجب تصويره، إذا كان المطر ينزل.

يوم الأحد: ١٤٠٨/١٢/٤هـ- ١٩٨٨/٧/١٧م:

يوم العطلة والشمس:

أصبحنا على جو صاح تماماً، ومع صحوه كان الهواء فيه ساكناً تماماً فكانت فروع النارجيل التي تقف صفاً أخضر على شارع الشاطئ لا تبدي أي حراك وكأنما هي في سبات.

وقد أسرعت إلى شرفة غرفتي المطلة على المحيط من دونه شارع الشاطئ فإذا بالناس قد خرجوا مبكرين إلى الشوارع وتبادروا شاطئ البحر كأنما يخافون أن يفوتهم، وكلما ارتفعت الشمس زادت أعدادهم حتى كادت تكسو أرض الشاطئ كله.

ومع انتشارهم في الشاطئ جاء رجال الشرطة ونصبوا خيمة لهم ليراقبوا الأمن في هذا اليوم الشامس بعد أيام الغيم الطويلة لاسيما أنه يوم الأحد الذي هو يوم العطلة الأسبوعية للجميع.

ومن الغريب أنه انتشرت في شارع الشاطئ أعداد من الشرطيات عليهن اللباس المميز من رتب متعددة وذكر لي أن الناس يخافون منهن كما

يخافون من رجال الشرطة فهن قد دربن تدريباً خاصاً للقيام بهذا العمل.

أما مظهرهن الأنثوي فإنه ليس مميزاً فالقوم على وجه العموم هم في هذه المدينة بالذات ومنطقتها دون أهل وسط البرازيل وجنوبها في الجمال والوجاهة في المنظر.

هذا وما شبهت خروج الناس ومعهم أطفالهم إلى الشاطئ وانتشارهم في رماله إلى بما قيل في مثله، إن (رصيفي) قد أخرجت أفلاذ كبدها وأفلاذ كبد رصيفي: الأغنياء والأثرياء، والمترفون من أهلها، فكان الشاطئ معْرضاً للناس إن لم نقل إنه معرض للأجساد في هذه البلاد.

واستغرقني المنظر فأكثرت من الجلوس والاسترخاء ثم أكثرت من السير على الرمال النظيفة التي تكرر الأمواج غسلها لا تنفك عن ذلك.

وتجلت أخلاق القوم وتعاملهم فيما بينهم ومع الغريب في هذه الشاطئ فما من أحد يؤذي أحداً، أو حتى يضايقه، ولم أر أو أسمع مشاحنات أو ملاسنات بينهم قط.

والغريب هو كثرة السود هنا في هذا اليوم فقد ظهر لي أنهم كثر في المدينة، ولكنني لم أفطن إليهم من قبل، لأن محلات سكناهم ليست قريبة من محلة (بوفياج) التي أقيم فيها من المدينة.

ولا غرو في ذلك لكون هذه المنطقة من البرازيل كانت منطقة إسكان العبيد الذين جلبهم البرتغاليون من القارة الإفريقية بعشرات الآلاف إبان استعمارهم للأرض البرازيلية، إذْ أرادوا أن يزرعوا هذه الأراضي الشاسعة ولم يكونوا يستطيعون القيام بالعمل الشاق بأنفسهم فجلبوا هؤلاء العبيد لهذا الغرض، ولم تكن هناك- بطبيعة الحال- آلات زراعية كبيرة

تقــوم مقامهم آنذاك، لذلك كثر العبيد الأفارقة وتناسلوا وقاموا في ولايتي (بهــية) و(الأقواس) المجاورتين جهة الجنوب من ولاية (برنانبوكو) هذه التـــي عاصــمتها رصـــيفي بـــثورة بـــل ثورات استطاع المستعمرون البرتغاليون ومن معهم من الأوربيين أن يخمدوها بالقوة بعد أن قتلوا من الإفريقييـــن عشـــرات الآلاف، لكون البرتغاليين كانوا مسلحين بالمدافع دون الإفريقيين في ذلك الوقت.

ونتـــيجة لتســـامح الشـــعب البرازيلي فقد اختلطت دماء الناس بالتزاوج وغـــيره فتغـــيرت ألوان الإفريقيين من السواد الحالك إلى الرمادي وإلى أكثر بياضاً منه، ولم تبق من السود الذين احتفظوا بسوادهم إلا أعداد ليست كبيرة.

ويلاحظ المرء أن السود في هذه البلاد مثلهم مثل غيرهم من السود في بلاد البرازيل كلها هم ذوو طبيعة ودية هادئة مثلهم في ذلك مثل بقية طوائـــف الشـــعب البرازيلي ولم أسمع منهم ولا من غيرهم أي تمييز أو تعيـــير بالسواد، إلا ما لاحظته وسمعته من كونهم أقل إقبالاً على التعليم وبالتالي أقل ثراء من غيرهم، وهذا يجعلهم يبدون أو يبدو أكثرهم فقراء، أو لنقل أقل غنى من غيرهم من البيض.

وكنـــت فكـــرت وأنا أطلق لرجليّ العنان في هذا المكان الذي هو أشبه بالبســـتان، ولكـــن أشـــجاره من بني الإنسان في بساطة هذا الشعب البرازيلي وإقـــباله على الحياة من دون مشاكسات أو معاكسات، فأقول وأكرر ما قلته من قـــبل: إن بلاد البرازيل هو أحسن مكان يقضي فيه المرء إجازته لتنوع جوائها واعتدال هوائها ورخص أسعارها، وحسن معاملة أهلها للقريب والغريب.

غير أن العيب فيها هو البعد الشديد، إذ على مثلي أن ينطلق من جدة أو الـــرياض إلى باريس أو لندن يطير إليها ست ساعات أو تزيد، ثم يطير

مــن أوروبـــا إحدى عشرة ساعة طيراناً متواصلاً حتى يصل إلى (ريودي جانيرو) التي يحتاج إلى الطيران منها إلى أنحاء البرازيل الواسعة.

وهــذه مسافة طويلة، إضافة إلى صعوبة التفاهم مع الناس لمن لا يعرف البرتغالية، لأن عدد المتكلمين بالإنكليزية قليل، وحتى الذين كانوا قد تعلموا منها شيئاً في المدارس قد أهملوه حتى نسوه لأن بلادهم واسعة وهم يترجمون إلى لغتهم كل ما يحتاجون إلى ترجمته، لذلك لا يشعرون بالحاجة إلى تعلم اللغات الأجنبية، إضافة إلى أن عدد السياح الذين يأتون إلـــيهم قلـــيل، لأن الســـائح الأوروبـــي أو الأمريكي الشمالي إنما يذهب للسياحة عندما يكون الفصل شتاءً في بلاده، فيهرب من بردها الشديد إلى بلاد ذات طقس دافئ أو حار، وهو واجد ذلك في بلاد أقرب إليه من بلاد الـــبرازيل، وبخاصة في جزر البحر الكاريبي بين الأمريكيتين ما يغنيه عـــن الســـفر إلـــى البرازيل، أما السياح الذين يأتون إلى البلاد بغرض الإطـــلاع فإن عددهم قليل لأن البلاد ليس فيها من الآثار القديمة ما في الأقطـــار العربـــية مـــثل ما في مصر على سبيل المثال، وليست قريبة لأوروبا قرب المغرب أو تونس.

يوم الثلاثاء ١٤٠٨/١٢/٦هـ - ١٩٨٨/٧/١٩م:

العزم على السفر إلى الشمال:

ذهبـــت اليوم مع سائق سيارة أجرة ودود إلى مكتب لشركة فارج للطـــيران أبحث عن رحلة تقوم في هذا اليوم إلى مدينة (ناتال) عاصمة ولاية (ريوقـــراندي دو نورت) فلم أجد مكاناً خالياً في الطائرة، وقد جهد موظف في الشركة في البحث عن مقعد خالٍ فلم يجد فحجزت معهم عصر غدٍ.

ولـــم يكن أمامي أن أفعل في هذا اليوم إلا ما كنت أفعله في الأيام

الماضية وهو الكتابة والاسترخاء ثم السير على شاطئ البحر.

وقد خرج الناس في أعداد كبيرة إلى الشاطئ رغم كون اليوم يوم عمل وليس يوم عطلة.

والعجيب أن الجو كان معتدلاً فكان المرء يسير بملابس البحر دون الشعور بالبرد، ورغم أن الفصل هو فصل الشتاء في المناطق التي تقع جنوب خط الاستواء، ولكن شروق الشمس الحارة وموقع هذه المدينة غير البعيد من خط الاستواء هو الذي جعل الجو فيها كذلك.

وقد أبديت لموظف في الفندق عجبي من كثرة الناس في هذه الأيام في الشاطئ فذكر أن فيهم سياحاً كثيراً جاءوا من بلاد البرازيل الجنوبية الباردة في هذه الأيام ليقضوا بعض الوقت في هذه المنطقة المعتدلة.

وأما عدم التستر أو العري الواضح بل الفاضح فإنه هو السائد هنا كما هو سائد في (ريو)، ومع ذلك لا ترى مستنكراً فضلاً عن أن تسمع مُنكِراً.

وقد رأيت طوائف منهم يأتون بسياراتهم إلى شارع الشاطئ فيوقفونها وينزلون إلى الرمال قرب الماء مع أطفالهم، بل وشيوخهم في ولع عجيب غريب بالبحر وهوائه ورماله في جميع أنحاء البرازيل.

لقد اشتريت تذكرة بالطائرة من رصيفي إلى (ناتال) ذهاباً فقط إذ أنوي أن أعود بالسيارة وثمنها سبعة آلاف ومائة كروزادو، ويساوي ذلك نحو ٢٢ دولاراً أمريكياً وهذا رخيص، والأرخص منه أجرة (التاكسي) التي هي ٣٠٠ كروازدو ويساوي ذلك دولاراً أمريكياً واحداً على وجه التقريب.

ومثله في الرخص ويضاف إليه السماحة في المعاملة أنني أردت أن أهتف بأخي الشيخ سليمان بن ناصر العبودي في بريدة فسألتهم عن الهاتف

الدولـــي العام لأنه موجود في جميع مدن البرازيل ورخيص بالنسبة إلى المكالمة الدولية التي تجرى في الفنادق الغالية، فأخبروني أن المكتب في مبنى المطار وهو أيضاً قريب من فندقي في المدينة حتى لا تزيد الأجرة في الذهاب إليه والإياب منه على دولار واحد مع أن المسافة بينهما هي سبعة كيلات.

وجــدت فـــي مكتب هاتف المكالمات الدولية امرأة برازيلية سمحة ممـــن يصح أن يطلق عليهن كونهن من المولاتو أي المختلطين، ولكثرة الملاتـــو فـــي شرق البرازيل حيث اختلط السكان الأصلاء بالبرتغاليين المستعمرين وبالإفريقيين المجلوبين فنشأ من ذلك جيل جديد غريب ربما لا يوجد مثله في غير هذه البلاد البرازيلية الشرقية.

ولذلـــك رأيت عنوان مقالة في جريدة برازيلية بالبرتغالية يقول: المولاتا زهرة تتفتح في البرازيل، وتحتها صورة لفتاة (مولاتا) أي مختلطة.

طلبـــت مـــن هـــذه المرأة البرازيلية المكالمة فكان أن أشارت إلى محراب صغير وقالت: أدخل إليه ففيه الهاتف، ثم أوصلت الخط الدولي إلـــيّ فتكلمـــت مع أخي سليمان في مدينة بريدة من دون أن تطلب مني تأميناً أو حتى أن تسألني عن البلاد التي سأتكلم معها.

ثم نقدت ثمن ما تكلمت به وهو رخيص أيضاً.

وهـــذه ثقة عظيمة، إذْ كثير من البلدان لا يسمحون للمتكلم في مثل هـــذه الهواتف العامة إلا بعد أن يدفع مبلغاً من المال مقدماً يكون بمثابة التأمين بعد أن يسجلوا البلد الذي سيتكلم معه.

وهذا مثال على سهولة معاملة هؤلاء القوم وسماحهم أو تسامحهم.

يوم الأربعاء:٠٧/١٢/١٤٠٨هـ - ٢٠/٧/١٩٨٨م:

يــوم شامس آخر وللشمس مقام عظيم في عين من يعيش في ظلام الجو تحت المطر لمدة طويلة.

وكان أول ما فعلته اليوم أن ذهبت مع سائق سيارة أجرة إلى مكتب الشركة الفرنسية للطيران (ايرفرانس) للحجز معها إلى باريس بعد العودة من شمال البرازيل، ويقع مكتبها بعيداً عن مكتبنا فكان أن تقاضي سائق السيارة أجرته (٨٠٠) كروزادو أي نحو ٣ دولارات إلا ثلثاً.

وقــد وجدت في المكتب فتاة فرنسية أنجزت كل ما أريده بسرعة فحجزت لي من (رصيفي) هذه إلى باريس مساء الجمعة بعد عشرة أيام.

واتفقــت معها على أن الحجز مؤكد وأنه لا حاجة بي إلى أن آتي إليهم مــرة ثانــية لتأكيد الحجز، ولكنها وعدتني أن تتصل هي بي قبل موعد السفر بــيوم لتذكرنــي بــالموعد ولتخبرنــي أن المقعد موجود، وذلك لكون طائرة الشــركة الفرنســية هذه تأتي من (ريو دي جانيرو) في بعض الأحيان ممتلئة، وما لم يكن هناك حجز مؤكد عليها فإنها لا تكون هناك فرصة للسفر معها.

وســألتها عــن محل يصرف الدولار بسعر مناسب فكتبت لي اسم محــل قريــب منها وصرفت الدولار بثلثمائة وعشرة (كروزادو) وكان سعره أول ما قدمت للبرازيل في هذه السفرة (٢٥٠) فكان هذا مفيداً لي.

ومن الطريف أنني وأنا أحمل نقوداً كثيرة في جيبي لأنني صرفت ما يكفي لدفع أجرة الفندق ومصروفات إقامتي فيه لم أرد أن أركب سيارة أجرة فسألت عن حافلة توصلني إلى المحلة التي فيها فندقي فدلوني على حافلــة صغيرة مهملة كانت أجرتها ٢٠٠ (كروزادو) وذلك يساوي ثلثي دولار تقريباً، وقد أنزلتني قرب الفندق.

والسماحة البرازيلية أيضاً:

دفعت للفندق أجرة الغرفة الفاخرة ذات السريرين والشرفة الواسعة المطلة على شارع البحر ومن خلفه شاطئ المحيط الأطلسي الغربي، و احداً وستين ألف كروزادو شاملة طعام الإفطار طيلة الأيام الستة وثمن ما تناولته من ثلاجة الغرفة التي كانت حافلة بما لذ وطاب وبخاصة الماء المعدني الفاخر المحفوظ في زجاجات نظيفة، ووجبتين رئيسيتين إحداهما وجبة عشاء والأخرى وجبة غداء، لأن المطر كان يمنعني من الأكل في الخارج.

وذلك يساوي مائتي دولار أمريكي بمعدل ٣٣ دولاراً وثلث لليوم الواحد في هذا الفندق الفاخر ذي الموقع الممتاز.

وليس هذا بالأهم عندي وإنما الأهم هو معاملتهم الكريمة لي طيلة بقائي عندهم، وفي الأمان الذي شعرت به في فندقهم، وعدم سؤالهم عن موضوع دفع الأجرة مقدماً، حتى دفعتها اليوم لهم لكوني سأغادر المدينة عصر اليوم.

والأهم من ذلك كله أنني سأسافر إلى ولايتين شماليتين سفراً سريعاً بعضه بالطيارة وأكثره بالسيارة لذلك يصعب علي أن أحمل حقيبتي الكبيرة التي هي مليئة بالأشياء الثقيلة التي صحبتها من رحلتي الطويلة هذه التي ذكرتها في مقدمة الكتاب.

كما أن هناك شيئاً مهماً أيضاً عندي وهو أنهم أعطوني سلة في الخزانة الحديدية المؤمنة التي تسمى في العربية صندوق الأمانات الخاص وهي صندوق خاص في خزانة حديدية ضخمة مثبتة بالجدار يحمل مفتاحها النزيل معه، ويضع فيها الأوراق المهمة كالجواز والتذاكر إلى جانب النقود والصكات (الشيكات) والأشياء الصغيرة الثمينة، كما هو

معروف، وسوف أرجع من الولايتين الشماليتين اللتين سابدأ السفر إليهما اليوم وهما ولاية (ريوقراندي دو نورتي) و(بارييبا) إلى رصيفي هذه حيث أسافر منها إلى باريس بإذن الله.

فذهبت إلى الموظف الموجود في الإدارة وقلت له: إنني ضيفكم في الأيام الستة الماضية وهو يعرفني، وأريد أن أسافر إلى (ناتال) اليوم وأدفع كل ما علي من مصروفات لكم، ولكن الخزانة الحديدية في فندقكم فيها نقود وأوراق مهمة لي وأود أن أبقيها فيها وآخذ مفتاحها معي، فقال لي: هل ستترك شيئاً آخر لدينا أيضاً؟ فقلت: نعم إنني سوف أترك حقيبتي الكبيرة في مستودعكم فنادى موظفاً عنده وقال له: تسلم حقيبة السيد الكبيرة وأعطه (إيصالاً) بها ثم قال لي: ولا مانع لدينا من إبقاء مفتاح الخزانة لديك حتى العودة!

هذا مع العلم بأنهم لا يتقاضون أي مبلغ من النزيل مقابل استعماله تلك الخزانة كما تفعل الآن كثير من الفنادق في أوروبا حيث يمتنعون عن إعطائك مفتاحها إلا بعد أن تدفع مبلغاً إضافياً من المال مقابل شغلها!

وقد وضعت ثقلي في هذه الحقيبة الكبيرة ومعها حقيبة اليد التي ليس فيها ما يهم لأنني قد أودعت المهم من الأوراق والنقود والتذاكر في الخزانة الحديدية، ولم أبق معي إلا حقيبة يدوية من القماش وضعت فيها ما هو ضروري من اللباس الخفيف، وأعطيتهم مفتاح الغرفة ولبثت أكتب في قاعة الاستقبال في انتظار أن يحين موعد الخروج للمطار.

واشتهيت فنجاناً من الشاي فصعدت إلى مقهاة الفندق التي تقع في الطابق الذي يعلو مقدمته وتطل على شارع الشاطئ فأسرع عامل المقهاة وهو يعرفني يحضر الشاي، ومعه حليب يكفي وحده لملئ الفنجان وورقة

فـيها قيمة الشاي للتوقيع عليها كالعادة، فقلت له: إنني قد أخليت الغرفة ولذلك سوف أدفع ثمن الشاي نقداً، فامتعض من ذلك، وقال: هذه ضيافة منا، وأبى أن يأخذ الثمن!

وهذا أيضاً من حسن معاملتهم، وسهولة أخلاقهم.

مع أن الجلوس في هذه المقهاة وحده بدون تناول أي شيء يستحق أجرة إضافية فهو يطل على شارع الشاطئ الجميل خلفه الشاطئ الرملي بعـده مـياه المحـيط التي يتدرج لونها من الأبيض غير الناصع قرب الشاطئ حيث الماء ضحل إلى مسافة معينة بعده مياه خضر، لأنها ليست عمـيقة يمتد لونها حتى المياه الزرقاء الداكنة، وذلك كله في تناغم لوني جميل قد يذكرك بلون قوس قزح لولا تقلص في عدد الألوان فيه.

وترفـرف فروع النارجيل الريانة المغروسة على رصيف الشارع فوق هذه المقهاة وتنحني في أكثر الأحيان لأقل مداعبة من النسيم فتميل علـى الشـرفة كأنما لتقبلها أو لتعانقها كما تعانق غانيات البرازيل من يقاربون الغانيات.

وذكرت بهذه المناسبة أنني قبل ثلاثة أيام حضرت إلى هذه المقهاة مـع أحد الأشخاص وطلبنا فنجانين من القهوة، ولم يقبل صاحب المقهاة أن يتقاضى ثمنهما وقال لي: هذه ضيافة مني لك!

وفي الرابعة والنصف كنت أخرج من الفندق إلى المطار مودعاً من أهل الفندق الكرام.

ولاحظـت كـثرة الـرحلات التـي يعلن عنها المكبر في المطار وازدحـام مبانيه ومكاتبه بالمسافرين، مما يؤكد ما انطبع في ذهني سابقاً

عن محبة هؤلاء القوم البرازيليين للسفر وقدرتهم عليه.

ومطـــارهم رغم كونه مطار عاصمة إقليمية فإنه مطار دولي تقلع منه رحلات عالمية مثل رحلتنا التي ستقوم منه إلى باريس.

صداقة الشطيرة:

كانـــت قد بقيت من الوقت بقية قبل الخروج إلى الطائرة فاشتريت شـــطيرة مـــن الخبز داخلها الجبن الأصفر الجيد معها كأس من عصير الـــبرتقال الطـــازج، وبعد ذلك فنجان من القهوة البرازيلية، وقد سارعت الـــبائعة وهـــي برازيلية أصيلة تسألني عن نسبتي والبلاد التي أنا منها، وهذه عادة لهم أن يسارعوا إلى سؤالك عن ذلك ببراءة عجيبة ثم لا يلبثوا أن يحدثـــوك حتى عن الأمور الخاصة بهم التي لا يتحدث بها في العادة إلا الأصـــدقاء لأصدقائهم. وكثيراً ما يعقب ذلك طلب عنوانك للمراسلة حتى وإن كان المتكلم معك من الجنس الآخر الذي لا تستسيغ أن تراسله لأنك لا تريد أن تغازله.

وهـــذه العاملة البائعة أسرعت بعد حديث قصير بقولها: إنك عربي طيب، فقلت في نفسي: إن هذه شهادة لا يعتد بها منها لأنها لم ترمني إلا أنني اشتريت منها هذا الذي عجبت من كونه كله لم يزد ثمنه عن ٣٠٠ كروزادو ويساوي ذلك ثلاثة ريالات ونصفاً، وحدثتني عن نفسها وأن لها طفـــلاً مـــن رجل تعرفت عليه ولكنه لا ينفق على الولد شيئاً رغم كونه يلتقـــي بها وتلتقي به ويعرف الولد وأن راتبها هو عشرة آلاف كروزادو في الشهر ويساوي ذلك ٣٩ دولاراً أمريكياً.

وذكرت أنها تعمل ثمان ساعات في اليوم.

وممـــا ينبغـــي التنبـــيه عليه أن هذه وأمثالها لا تريد من هذا الحديث شيئاً فلم يتعود أمثال هؤلاء الموظفين على أن يتلقوا شيئاً من الناس، ولذلك لا ينـــتظرون مســـاعدة من أحد، كما أنها تعلم أنني مسافر الآن ولم أقل لها إنني سأعود، ولكن هذه طبيعة فيهم، وسببها ظاهر وهو أن أهم ما يحرص الشـــخص علـــى إخفائه في بلادنا سواء من حاله أو حال أسرته هو مما لا يهتمون بإظهاره لأن لا مجال للقيل والقال في هذه الأحوال عندهم.

وقـــبل قـــيام الطائـــرة نادوا على الركاب، ولم يفتشوا شيئاً لا من الحقائـــب الـــيدوية ولا غيرها وليس معي إلا تلك الحقيقة الصغيرة التي أودعتها الطائرة، ولكن هذه عادة لهم إذْ لا يخشون من خطف الطائرات ولا من حمل الأسلحة عليها.

ولاية ريوقراندي دو نورتي



ولاية ريوقراندي دو نورتي. **العاصمة:** ناتال.

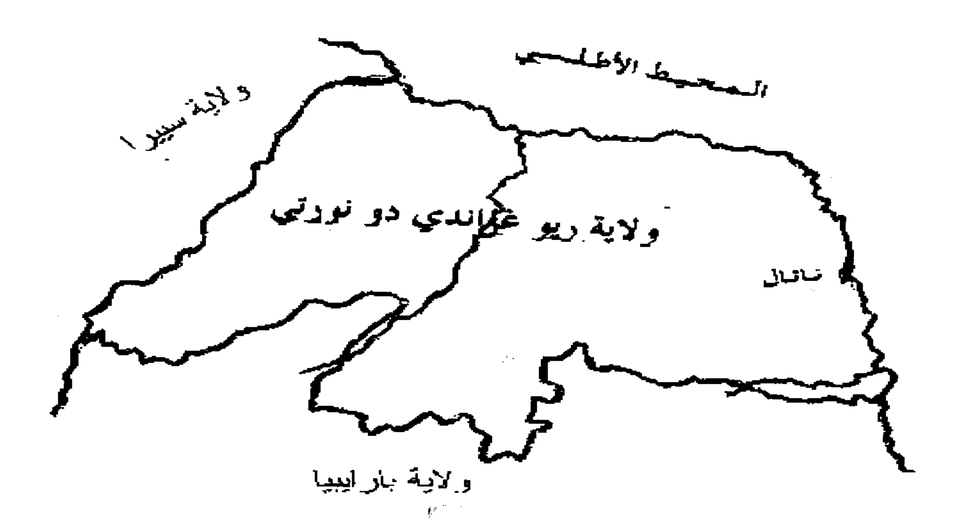
الموقـــــــع: في الشمال اشرقي من المنطقة الشمالية الشرقية.

عدد السكان: ٢٥٨٢٣٣٩ نسمة.

المســـاحة: ٥٣٣٠٦,٨ كم مربع. **الكثافة السكانية:** ٤٤,٤٨ نسمة/كم مربع.

الأنهـــار الرئيسية: موسورو، أبودي، أسو، بيرانياس، بوتنغي، ترايري، سيريدو، جاكو، جوندياي، كوريماتو.

نسبة الوفيات بين الأطفال: ٣٤,٣./.. **نسبة الأمية:** ٣٣,٩٨./..



معنـــى اســـم الولايـــة وهـــو (ريوقراندي دو نورتي) النهر الكبير الشمالي فـــريو- فـــي البرتغالية-: نهر وقراندي: كبير، و(دو) أداة إضافة تقع بين المضاف والمضاف إليه مثل (أف) بالإنكليزية ونورتي: شمال أو شمالي.

وهذا الاسم يقابل اسم ولاية جنوبية في البرازيل اسمها (ريوقراندي دوسول) وسول: جنوب.

والفــرق بين الولايتين غير الموقع المجرد في الشمال أو الجنوب هو أن ولاية (ريوقراندي دوسول) تقع بالفعل في أقصى جنوب البرازيل حيث تقع حدود الأرجنتين والإرغواي.

وأما (ريو قراندي دو نورتي) هذه فإنها واقعة- بالفعل- في شمال الــبرازيل، ولكنها ليست في أقصى شماله، إذْ تجاورها من الشمال ولاية سييرا البرازيلية.

وفــرق آخر وهو أن عاصمة ولاية (ريو قراندي دو نورتي) هذه التــي نقصــدها واقعة بين النهر الكبير الذي ورد في اسمها وبين البحر الكبــير وهــو المحيط الأطلسي، أما الجنوبية فإن عاصمتها داخل القارة وتقع على ميناء نهري وليس بحرياً.

والأهــم من ذلك الموقع الجغرافي بالنسبة إلى القرب أو البعد من خــط الاســتواء فالشمالية هذه تعتبر مدارية وتكاد تعتبر استوائية إذْ تقع علــى خــط عرض ٨ جنوب خط الاستواء، ولذلك يتسم جوها بالحرارة والــرتابة، إذْ لا تكاد تتغير فيها الفصول طول السنة، وإذا تخلف المطر اشتد الحر، بخلاف الجنوبية التي هي (ريو قراندي دي سول) فإن جوها معتدل ويشبه جو البحر الأبيض المتوسط وإن يكن جنوب خط الاستواء لا شــماله وولايــة (ريو قراندي دو نورتي) هذه لا تعتبر من الولايات الواسعة المساحة.

من رصيفي إلى ناتال:

قمــنا مــع شــركة (تــرانس برازيل) وهي شركة طيران كبيرة تسير رحــلات داخلــية مهمة إلى جانب رحلات لبعض الدول المجاورة، وطائرتها

مــن طراز بوينغ ٧٢٧ لم يشغل الركاب إلا أقل من نصف مقاعدها وهذا ليس مــن عادة الطائرات البرازيلية الداخلية، فطائرة فارج لم أجد فيها أمس مقعداً خالياً وأخبروا أنها قامت في ظهر اليوم أيضاً إلى ناتال نفسها مليئة بالركاب.

وكان قيام رحلتنا في السابعة إلا ربعاً.

ولم تكن مقاعد الطائرة مرقمة وربما تركوا ذلك لقلة الركاب، كما أن الإعلان في الطائرة كان باللغة البرتغالية وحدها.

ومــن الطــريف أن الطــيار أســرع بإطفاء إشارة ربط الحزام و(التدخين ممنوع) ونحن لا نزال نرى مدينة رصيفي لأنه دار فوقها.

ثم أسرعوا بتقديم ضيافة الطائرة وهو شطيرة (ساندويتش) مأدومة بالزبد ثم كأس من الكوكاكولا أو (القوارانا) شرابهم الخاص المفضل.

وقــد ران الظلام مبكراً لأن هذه هي عادة البلدان القريبة من خط الاســتواء، فلم نعد نبصر شيئاً من الأرض تحتنا، مع أننا تجاوزنا ولاية (باراييــبا) التــي هي مجاورة لولاية برنانبوكو كما رأينا أنوار عدد من القرى والمدن الصغيرة.

وقد أضاعوا بسرعة إشارة ربط الحزام وأخبرني جاري في الطائرة أن المسافة ما بين رصيفي وناتال هي (٥٦٠) كيلومتراً.

وأخذت بالهبوط ونحن لا نزال نرى أنواراً كثيرة خافتة ربما كانت لأماكــن ريفــية فالريف كما عرفت بعد ذلك، كله أو أكثره معمور، ثم ظهرت أنوار المدينة ساطعة واسعة.

في مطار ناتال:

هبطــت الطائــرة بسرعة في مطار ناتال في السابعة والثلث بعد

طيران لم يستغرق إلا خمساً وثلاثين دقيقة.

والمطار صغير، ضيق الأبنية لكونه مطار عاصمة إقليمية صغيرة بالنسبة إلى المدن الكبيرة وبخاصة إلى رصيفي التي أقلعت منها، وليس في المطار إلا سير متحرك قصير لنقل الأمتعة.

ولكن الذي نفعني أنني ليس لي إلا هذه الحقيبة الصغيرة.

وبحثت عن مكتب للفنادق في المطار فلم أره، وكان أهل فندق بوفياج في رصيفي قد أعطوني اسم فندق في (ناتال) ذكروا أنه من ذوات النجوم الأربع وأنه مثل فندقهم وأنه على البحر واسمه فندق (ناتال مار) أي فندق بحر ناتال لأن (مار) بالبرتغالية (بحر).

وأقول بهذه المناسبة: إن أكثر عواصم الولايات الشرقية هذه واقعة على المحيط الأطلسي حتى وإن كان عرضها الذي على البحر ضيقاً وأكثرها واقعة على نهر أيضاً مثل رصيفي التي يشقها نهران كبيران تتفرع منهما فروع وقنوات ضخمة.

و(ناتال) هذه واقعة على المحيط الأطلسي وعلى نهر كبير منه اشتق منه اسم الولاية التي عاصمتها (ناتال) (ريو قراندي دو نورتي) بمعنى ولاية النهر الكبير الشمالي.

ركبت سيارة أجرة مع سائق هندي الأصل أي من السكان الأمريكيين الأصلاء يدل على ذلك انتفاخ وجهه واستدارته إلى جنب قصر رقبته وغلظ جسمه رغم كونه مربوع القامة، ولكنه كسائر البرازيليين سمح الخلق، بعيد عن الاحتيال.

قال لي: أي مكان تريد؟ قلت: فندق (ناتال مار) فقال: هذا بعيد عن قلب المدينة أتريد أن أحاول الذهاب إلى غيره.

قلت: لا.

وأسرع بسيارته كأنما يسابق الريح في ظلام دامس لا أرى فيه إلا أنـــواراً متراقصة بعيدة، وحتى السيارات كانت قليلة في الطريق خلاف العـــادة، وهجس في خاطري هاجس وهو ما لو أراد هذا السائق الذي أنا وحيد معه في هذا الظلام بي سوءاً.

ولكننـــي تذكــرت أنه ليس فيَّ ما يطمع فيه إلا المصورة وبعض النقود القليلة لأنني أودعت أكثر ما أخشى عليه الضياع فندق (بوفياج) في رصيفي.

ولكـــن حـــتى هـــذا الأمر مقلق لأنني لا أجد من يعرفني في هذه المدينة، بل في هذه المنطقة الشمالية كلها.

والعجيـــب أنني عندما ذكرت بعد ذلك رحلتي هذه وحيداً إلى هذه المـــنطقة الشـــمالية الشـــرقية لإخواني المسلمين العرب الذين يقطنون في الـــبرازيل، وكلهم يعرف البرتغالية وحاصل على الجنسية البرازيلية تعجبوا من ذلك وذكروا أن الواحد منهم لا يجرؤ على السفر وحده إلى هناك!

تـــرك السائق طريق المطار، و أوغل في منطقة لا أنيس فيها ولا حـــركة، ولاحت أضواء على الطريق، وسكت بعد أن كنت أتحدث معه بالبرتغالية التي عرف من حديثي بها أنني لا أعرفها، وإن كنت استطعت أن أفهمه وأفهم منه.

حـــتى وصـــلنا إلى الفندق الموعود في منطقة منعزلة من شاطئ الـــبحر بعيدة عن المدينة، ومثل مكانه من الأماكن التي لا أرغب البقاء فـــيها لأننـــي أريد وأنا أقيم إقامة قصيرة أن أرى المدينة وأحادث أهلها، وكنـــت ظننت أنه مثل فندقي في رصيفي على شاطئ البحر، ولكنه في جزء عامر بل مزدحم من المدينة.

وقلت في نفسي: إنني سوم أقيم فيه سواد هذه الليلة ثم أغيره غداً. ولكن الأمر جاء منه إذ اعتذر الموظف الموجود في مكتب الاستقبال فيه وهو فندق كبير بأنه لا توجد عندهم غرفة خالية.

وسألني السائق إلى أين نذهب الآن؟ فقلت: إلى أي فندق تراه.

وذهـــب إلـــى فـــندق بعد فندق وكلها في الريف وكلها تعتذر عن عدم وجود غرفة فيها خالية.

وقـــال السائق معلقاً على ذلك: إن هذا الوقت يعتبر موسم السياحة فـــي هذه البلاد، فأهل الجنوب البرازيلي البارد يأتون إلى الشمال الحار هـــنا لقربه من خط الاستواء، وحتى الطلاب فإن شهر يوليو يعتبر شهر عطلة لهم، لذلك يأتي الناس مع أطفالهم هنا.

وطلبت من موظفة في أحد الفنادق المليئة أن تبحث لي في الهاتف عن غرفة في أحد الفنادق لأننا تعبنا من مراجعة الفنادق بالسيارة فهتفت بفندقيـــن أو ثلاثـــة، ثـــم قالت: لقد حجزت لك غرفة في فندق في وسط المدينة مطل على البحر ليس بينه وبينه إلا شارع الشاطئ، وكان هذا هو مـــا أردتـــه فـــي الأصل، ولكنني أنا والسائق لم نهتد إليه إلا أن المرأة أضافت قائلة: لقد ذكروا أن الغرفة التي لديهم محجوزة إلا في هذه الليلة ويمكنك أن تبحث غداً عن فندق آخر.

في مدينة ناتال:

عـــاد الســـائق إلى السير السريع بسيارته حتى كأنه في سباق في ظـــلام دامـــس حـــتى دخل المدينة وقد بلغت الساعة التاسعة والنصف، فأنزلنا في (فندق ماقوس) وهو كبير ، ذو ثلاث نجوم.

ودفعت للسائق ما طلبه من أجر مع كلمة شكر وتقدير.

ولم أجد في الفندق كله لا في مكتب الاستقبال ولا غيره من يعرف حرفاً من الإنكليزية ولكن الله نفعني بما عرفته من البرتغالية، فذكروا لي ما عرفته من قبل وهو أنهم لن يؤجروا هذه الغرفة إلا لليلة واحدة لأنهم ينتظرون غداً جماعة كبيرة من السياح كانت حجزت منهم ٤٠ غرفة، وأن أجرة الغرفة عشرة آلاف كروزادو، أي ثلاثة وثلاثون دولارا وهو من ذوات النجوم الثلاث مع أن أجرة فندق رصيفي أقل من ذلك وهو من ذوات النجوم الأربع، وأفضل منه بمراحل ولكن قال لي الموظف: إن السبب أن الموسم الآن هنا موسم السياحة.



جانب من شاطئ في ناتال

وعندما دخلت غرفته وجدت أنها خالية من الفراش، وإنما هي بلاط أقرع بخلاف الفنادق الأخرى التي نزلت فيها في البرازيل في هذه السفرة فكلما كانت مفروشة بسجاد ثمين أو جيد، وفي الغرفة ثلاجة مليئة بالأشربة

وجهـــاز تلفاز ملون، وسريران وهما مثل سائر الأثاث ليسا فاخرين- ولكنني اعتبرت أن وجود هذه الغرفة في هذا الوقت هو نعمة ينبغي شكرها.

وحمدت الله تعالى وشكرته.

ثم فكرت في كيفية الجولة في هذه المدينة وما حولها وأنا لا أعرف لغة أهلها فطلبت من موظف الاستقبال في الفندق أن يبحث لي عن دليل سياحي يجيد الإنكليزية ليكون معي طيلة بقائي في هذه الولاية.

فمــا أســرع أن جاء الدليل وهو شاب (ملاتو) أي مختلط يعرف الإنكلـيزية ومـتمرس بإطلاع السياح على معالم البلاد، لأنه يعمل مع شركة للسياحة.

وكـان أن بادرني قائلاً: لنذهب الآن إلى السهرة وقد كانت الساعة قاربـت الحادية عشرة فقلت له: إنه ليس من عادتي السهر، ولو سهرت أنت لم تستطع التبكير معي غداً.

ثـم اتفقـت معه على أن يحضر في السابعة غداً مع سائق سيارة أجرة يستأجره طول يوم غد.

يوم الخميس: ١٤٠٨/١٢/٨هـ- ١٩٨٨/٧/٢١م:

الفطور الفاخر:

وجدت إفطار هذا الفندق كالإفطار في أفخر الفنادق البرازيلية فقد وضـعوه علـى موائد مفتوحة طويلة فيها ما يخطر ببالك إذا كنت مثلي تعرف طعام الإفطار السخي في البرازيل وما لا يخطر ببالك.

ومـنه أكثر أنواع البقول المطبوخة وعدة أنواع من القرع المطهي اللذيـذ والجـيد الذي كان سبعة أنواع مختلفة اللون والمذاق، والحلويات

وحدهـــا بأنواعهـــا تكفـــي للفطور والأشربة المتعددة من عصير الفاكهة وغـــيرها والخـــبز أنـــواع مـــنوعة وأما الفاكهة فإن فيها الطازج وفيها المحفـــوظ، وبعـــد ذلك الأشربة الحارة من الشاي والقهوة أكثر من نوع والحليب والكاكاو.

ورأيت الآكلين على موائد الإفطار كثراً قد غص بهم مطعم الفندق على رحبه فعرفت السبب في قلة وجود الغرف الخالية عندهم.

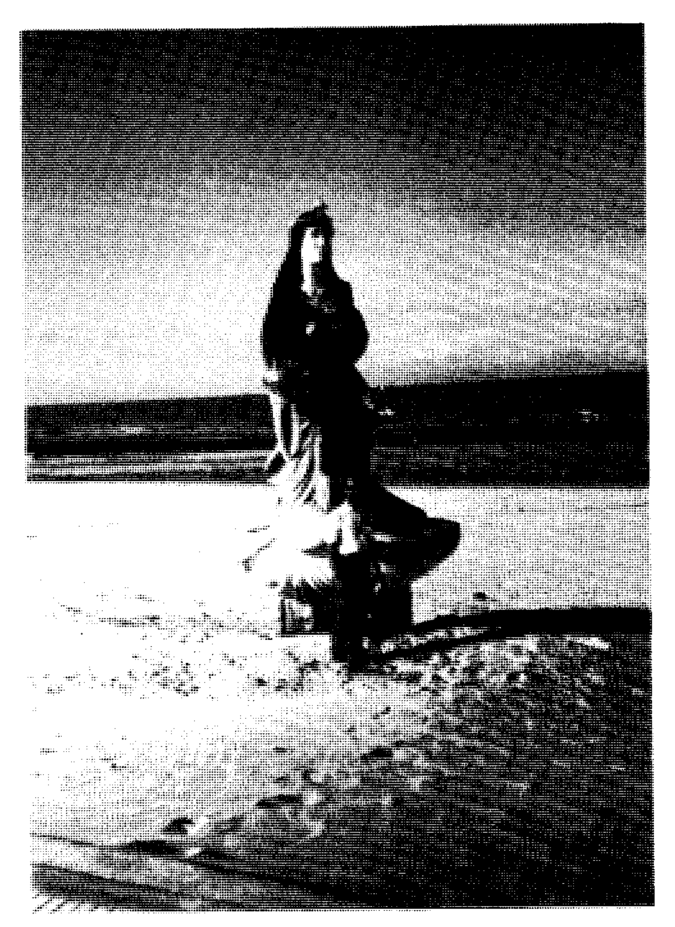
وتمشـــيت في أنحاء الفندق الذي وجدت فيه حديقة نضرة، وبركة للســـباحة مع أنه واقع على شاطئ بحري على المحيط اسمه (ميو بيتش) هكـــذا قـــالوا لـــي ولعلهم ترجموا بيتش إلى الإنكليزية لأن الشاطئ في البرتغالية هو (برايا).

ابتداء الجولة السياحية:

في السابعة والنصف كان الدليل السياحي الذي اتفقت معه البارحة حاضـــراً ومعـــه سيارة أجرة ذكر أنه اتفق مع سائقها بأن تكون الأجرة للـــيوم الكـــامل مـــن الثامـــنة صـــباحاً إلى الخامسة مساءً بعشرة آلاف (كروزادو) ويساوي ذلك ٣٣ دولاراً أمريكية تقريباً.

وقـــال أمـــا أنـــا فـــإن اسمي الكامل هو (فرانسيسكو آسي دي أوليفرا) ووافقـــت علـــى ذلك شرط أن تشتمل الجولة على المدينة وعلى ما حولها من مـــنطقة تمـــتد ٣٠ كيلومتراً جهة الشمال منها إلى نقطة تمتد مثلها ثلاثين كيلو جـــنوباً ولم أشأ الاقتصار على داخل المدينة التي يبلغ عدد سكانها (٦٣٠) ألفاً وإنمـــا قصدت الإطلاع على منطقتها التي رأيت لها صوراً جذابة في الأوراق الســـياحية، ويجـــب أن نـــنوه هنا أن اسمها بالبرتغالية يعني عيد الميلاد لأن (ناتال) بالبرتغالية هو عيد الميلاد.

ملكة المحيط:



المؤلف عند أسفل تمثال ملكة المحيط في ناتال

انطلقــنا بالسيارة ليس معنا أحد مع شارع الشاطئ الذي فيه فندقنا حــتى وقفنا عند شاطئ بحري فيه تمثال على هيئة فتاة تلبس التاج ذكر الدليل أن رؤيته مهمة لأنه تمثال ملكة البحر كما يعتقد الناس، وذكر أن هــذه العقــيدة فيه أصلها أفريقي جاء به الأفارقة الذين جلبوا في الأصل عبيداً إلى هذه البلاد في زمن الاستعمار.

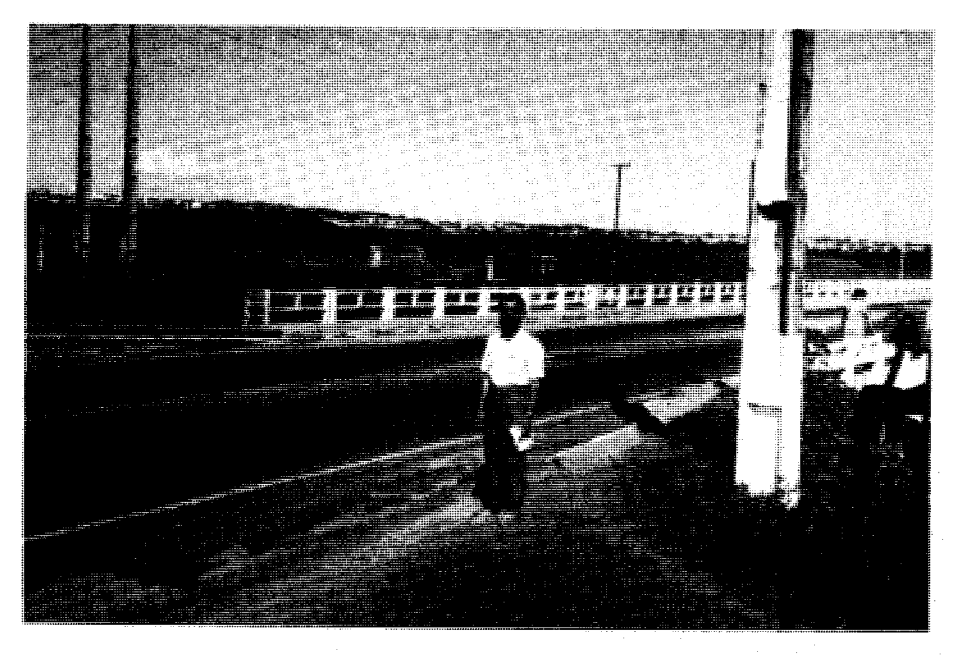
وأغرب عند ما قال: إن بعض الناس يعتقدون أن ملكة المحيط هذه

تقضـــي الرغــبات وتمنع حصول الأشياء المكروهة، وبمعنى آخر أنها تضر وتنفع. مع أنها تمثال من صنع البشر. لقد ذكرت وهو يحدثني بذلك قوله تعالى ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ۝ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ .

الخرافات البرازيلية:

مضـــى الدلـــيل يقول: وإلهة المحيط هذه وكان سماها ملكة البحر قبل ذلك، لهـــا يوم معلوم في السنة هو الحادي والثلاثون من شهر ديسمبر من كل عام حيث يحتشـــد عشـــرات الألوف في هذا الشاطئ ويأتون إليه من خارج الولاية حتى من ريو دي جانيرو وسلفادور، احتفالاً بعيدها عند دخول السنة الجديدة.

أقـــول: لقـــد شـــهدت احتفال أهالي ريو دي جانيرو بقدوم الأول من السنة الجديـــدة فـــي الـــيوم الحادي والثلاثين من شهر ديسمبر الماضي فكان من ذلك أن بعضـــهم يأتـــي بزهور فيغرسها في البحر بمثابة الهدية لألهة البحر هذه، وبعضهم يلقي بأي شيء يتيسر له، وينوي بعد ذلك أن تتحقق رغبة له فيما يقولون.



في شارع الشاطئ في ضواحي ناتال

غير أنني لم أرهم أقاموا لها تمثالاً في (ريو)، ولم أر أكثرية الناس يلقون بالاً لذلك.

ثم قال الدليل: ويعتقد البرازيليون من أصل إفريقي في هذا التمثال أكثر مما يعتقده غيرهم لأن أوائلهم يقولون: إن صاحبته ساعدتهم في أوقات الشدة والضيق التي مروا بها عندما كانوا عبيداً أرقاء جلبوا من ساحل إفريقية الغربي إلى الساحل هذا المقابل له في أمريكا الجنوبية، هذا مع العلم بأنها كما مثلوها بيضاء اللون.

وذكر أن اسمها (جوردان) وأظنه يقصد بذلك اسم تمثالها هذا.

شاطئ القلعة:

تركنا تمثال المرأة التي زعموها ملكة المحيط أو ما هو أكثر من ملكة له وسرنا مع شارع الشاطئ الذي لاحظت أنه رغم كونه مزفلتاً زفلتة جيدة فإن الرمل الأبيض قد ركبه حتى إن السيارة تتجنب بعض الأماكن فيها لئلا تغرز عجلاتها في الرمال، وقال الدليل: إنهم يكافحون سفو الرمال هذه التي تأتيهم من خارج الشارع بغرس نوع معين من النبات على أطرافه، ووصلنا شاطئاً ذكر اسمه (إبرايا دو فورت) ومعناه: شاطئ القلعة.

ووقفنا عند القلعة التي سمي الشاطئ باسمها.



قوارب للنزهة على شاطئ ناتال

وصول المستعمرين:

أخـــذ الدلـــيل يذكـــر تـــاريخ هذه القلعة الذي يصح أن يقال: إنه تاريخ وصـــول المســـتعمرين الأوروبييـــن فذكر أن هذه القلعة هي قلعة أثرية، بناها البرتغالـــيون مبتدئين ذلك في ١٥٩٨/١/٦م وهي أول مبنى حضاري أقيم في المنطقة.

وذكر أن هؤلاء البرتغاليين الذين بنوا القلعة هم أول من وصل إلى هـــذا الشاطئ من أمريكا الجنوبية لم يصله قبلهم إلاّ رجل فرنسي حضر بغرض التجارة ولم يستقر فيه.

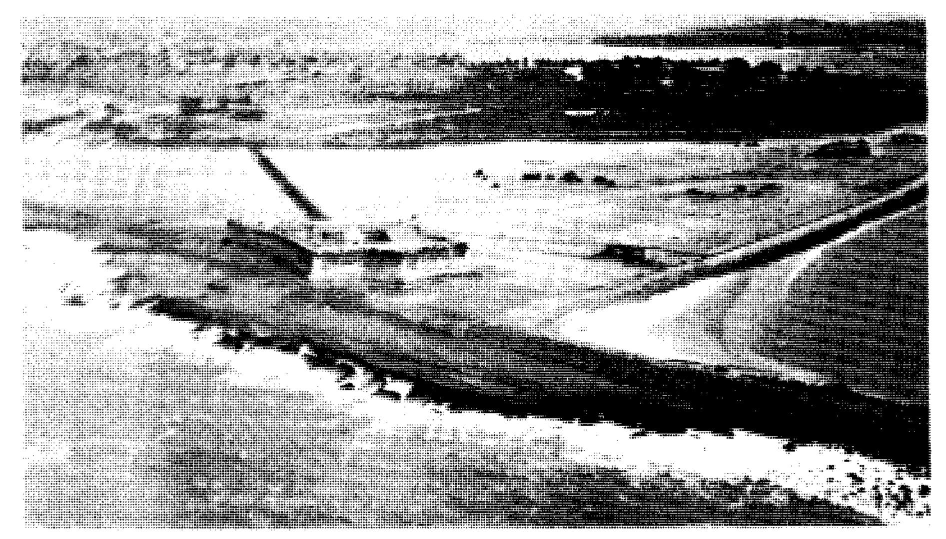
والقلعة قديمة الطراز حقاً ذات عقود تبدو على البعد شبيهة بالعقود الأندلسية وما هي بها، وهي مبنية من الحجارة وأرضها مفروشة بحجارة كبيرة وسقفها من الخشب وهو مرتفع عن الأرض أكثر من المعتاد.

وقـــد أقـــاموا فـــي مدخلهـــا تماثيل لرجال ثلاثة من رجال الدين النصـــراني أحدهم أسود اللون اسمه (بالتازار) عليه ملابس واسعة زرية تشبه ملابس الفقراء من أهل غرب إفريقية.

وللقلعـــة صـــحن وهو الأرض المبلطة التي تحيط بها الغرف كأنه وضـــع علـــى هيئة الصحون في القصور الأندلسية، ولكنه رث أي غير متقن ولم تراع فيها اللمسات الفنية الجمالية في البناء.

وفـــي القلعـــة عـــدة غرف لأغراض معينة مثل عدد من الغرف خصصت لتكون سجناً، وفي الصحن محراب مقام على أربعة أعمدة في أسفله حوض لتجمع ماء المطر من سقف الغرفة، لأن القلعة مقامة على مـــياه الـــبحر الضـــحلة حتى يستطيع البحارة استعمالها دون المخاطرة

بالنزول إلى الشاطئ والتعرض لهجمات السكان الوطنيين الأصلاء ممن يسمونهم الهنود الأمريكيين.



البحر والنهر قرب ناتال

والغريب أنها تقع قريباً من مصب النهر الكبير الذي يسمونه بلغتهم (ريو قراندي) بمعنى النهر الكبير ومنه أخذ اسم الولاية (ريو قراندي دو نورتـــي) بمعـــنى النهر الكبير الشمالي كما تقدم، وذلك حين يصب في المحـــيط الأطلســـي، ويمكنهم في الظروف المعتادة أن يأخذوا الماء من النهر ولكنه ليس في صفاء ماء المطر كما هو معروف.

وفـــي إحدى الغرف الكبيرة من القلعة رأينا عموداً من المرو وهو الحصى الصلب الأملس عليه عدد من الصلبان القديمة لأن البرتغاليين في عهود الاكتشاف كانت تسيطر عليهم الروح الدينية المسيحية، وفي غرفة أخرى أثاث خشبي قديم نوهوا بأنه أثري وأنه باقٍ من عهود الاكتشاف، وقد جلبه البرتغاليون.

ومن أكثر الأشياء طرافة فيها مهراس وهو المدق أو الهاون الضخم من جذوع شجرة من النخيل ربما كانت من النارجيل أو نخيل الزيت، ويستعمل لهرس الحبوب لتخليصها من قشورها.

ذكر الدليل أن مثله قليل الاستعمال الآن مع أنه موجود في أكثر الأرياف الإفريقية، إن لم يكن فيها كلها.

ثم قاعة الجلوس الرئيسية في القلعة وهي غير جيدة ولا تتسم بالذوق أو الوجاهة، ولا شك أن مرجع ذلك إلى كونها بنيت في عهد المكتشفين الأوائل الذي كان جل همهم منصرفاً إلى الدفاع عن أنفسهم في هذا الجو الأمريكي البعيد الذي لم تكن لديهم أية معرفة مسبقة بمن فيه ولا بما فيه.

ولكنهم جعلوا في حيطان قاعة الجلوس هذه (روازن) جمع روزنة وهي الكوة غير النافذة وإنما تكون في الجدار بمثابة السلة في الخزانة إلا أنها مفتوحة دائماً ويضع فيها الناس الأشياء الصغيرة التي يخشى فقدها أو تلفها إذا وضعت على الأرض، وقد ذكرتني هذه الروزنة بما كان موجوداً في بيتنا القديم في مدينة بريدة الذي هو مبني من الطين مثل سائر بيوت البلدة القديمة، وفيه هذه النوافذ غير النافذة- إن صح التعبير- بمعنى أنها لا تخترق الجدار كله، وهذا صحيح.

المدفع الأثري:

صعدنا إلى سطح القلعة واستجليت المنطقة وأهم ما رأيته فيها إلتقاء مياه النهر الكبير بالمحيط العظيم وذلك في منطقة ضحلة المياه

بحيث حافظت فيها مياه النهر على لونها المميز لمسافة غير قصيرة قبل أن تتلاشى في مياه المحيط وصورت هذا المنظر النادر بالنسبة إليّ.

وفي سطح القلعة مدفع أثري قديم كتب عليه أنه صنع منذ أربعمائة سنة.

واسترعى انتباهي شيء آخر شدني أيضاً إلى عهد الطفولة والصبا في بلادي وهو منظر كثبان من الرمل الأحمر يراها المرء على البعد من ظهر هذه القلعة الأثرية.

وعجبت من اجتماع الكثبان الرملية مع هذا النهر الكبير فضلاً عن قربها من المحيط العظيم.

وفي وسط القلعة فتحة صغيرة يرفع منها الطعام والأشياء الثمينة عندما يكون هناك خوف من فتح الباب والصعود من الدرج.

ومن الطريف أنهم نصبوا في أركان السطح مدافع قديمة صغيرة موجهة إلى الجهات الأربع، كأنما ليمثلوا حالة القلعة في القديم.

وقد نوه الدليل بأن المهندس الذي أشرف على بنائها هو إسباني استأجره البرتغاليون لذلك لأنهم لم يكن معهم من يحسن البناء عندما وصلوا هذه المنطقة لأول مرة.

والشيء اللافت للنظر أن القلعة مقامة في مياه المحيط الضحلة، وكان على من يريد الوصول إليها أن يخوض في هذه المياه مسافة ١٥٠٠م حتى يصل إليها ولكنهم أقاموا لها طريق مدفوناً منه ٨٥٠ متراً في مياه البحر الضحلة التي تبدو كأنها المستنقعات، والباقي في أرض الشاطئ الجافة حتى تصل إلى شارع الشاطئ.

وقد بالغوا بالعناية بهذه القلعة وشرح ما يتعلق بها ونوهوا بأنها تاريخية من واقع كون بلادهم هذه ليس بذات تاريخ قديم، ولذلك كانت الآثار فيها قليلة إذْ السكان القدماء كانوا يبنون بيوتهم من القش والأخشاب ونحو ذلك مما لا يعمر طويلاً.

وقد رأيت أفواج السياح اللذين يزورون مثلنا هذه القلعة وأكثرهم جاءوا إليها من جنوب البرازيل وذلك ظاهر من صفاء ألوانهم، ومظاهر الترف عليهم أكثر من الآخرين، وأهم ما يميزهم كونهم من البيض المتغيرين بسبب الطقس أو نحو ذلك حتى صاروا في ألوان العرب الشماليين بخلافِ أكثر أهل هذه البلاد الذين هم يعدون من المولاتو بمعنى المختلطين مثل الدليل والسائق الذين معي الآن فكلاهما (ملاتو).

ولاحظت كثرة أولاد الشوارع الموجودين في هذه القلعة وقد جاءوا إليها لكثرة السياح بعضهم يقوم بتنظيف السيارات الواقفة، وبعضهم يبدو أنه لا عمل له، وقال الدليل إن هؤلاء الأطفال لا آباء لهم، فسألته عما إذا كان يخشى منهم السرقة والانتهاب، فأراني عدداً من رجال الشرطة الموجودين في المكان، وقال: الشرطة موجودون، وكان هذا صحيحاً إذْ لاحظت أن الشرطة في شمال البرازيل وشرقها يوجدون في المحلات العامة أكثر مما يوجدون في المدن الكبيرة في وسط البرازيل كريودي جانيرو، ولذلك يشعر الناس بالاطمئنان أكثر لمرآهم، مع أنهم لا يكونون موجودين إلاّ في النهار، وحيث يوجد الزحام والكثرة من الناس، وأما الليل فإن وجودهم قليل ولكن الناس قد اعتادوا على الاحتراس من السير والحركة في الليل إلا للحاجة الماسة.

حي هز ماقوس بايهو:



شارع في مدينة ناتال

تركـــنا شاطئ البحر، ودخلت السيارة حياً قديماً اسمه (هز ماقوس بـــايهو) ووقف عند كنيسة قديمة اسمها (كنيسة هزما قوس) أمامها ميدان صـــغير وهـــي صـــغيرة إلا أنها قديمة التشييد، ومن هنا جاءت أهميتها عـــندهم، والحـــي بيوت متلاصقة من طابق واحد رأيت فيه أطفالاً من أطفال الشوارع المشردين كثيرين وأكثرهم بيض الألوان، حفاة الأقدام.

وأرض الحـــي مفروشة بالحجارة بديلة من الأسفلت مما يدل على قدمه، وأشجار الظل العالية فيه هي أشجار من النارجيل غير النضر.

ميناء صيد السمك:

تركـــنا هذا الحي القديم الذي لم أر فيه ما يستحق إنفاق الوقت، وذهبنا إلـــى ميناء واسع ضخم المياه رغم كونه ميناءَ نهرياً وليس بحرياً فهو واقع علـــى مـــياه النهر الكبير وليس على المحيط، وربما كان ذلك لكونه ذا مياه عميقة بخلاف شاطئ البحر القريب الذي هو ذي مياه ضحلة.



المؤلف على شاطئ النهر الكبير في مدينة ناتال

وأخبرني الدليل أن هذا الميناء خاص بالقوارب، والسفن التي تصيد السمك وقد رأيتها فيه في كثرة عجيبة، ولا غرو فالبلاد الساحلية تكون في الغالب متعودة على أكل لحوم الأسماك، فهي تستهلك منها مقادير كبيرة خلاف المناطق الصحراوية البعيدة عن البحار.

ورأيت طوائف من الناس الذين يبدون كأنهم لا عمل لهم، وهم من بين سود ومختلطين من الذين يسمونهم (المولاتو) وباعة السمك يعرضون بضاعتهم الطازجة التي صيدت لتوها من المياه، وقد التقطت صورة لأحدهم وقد رأيته يبيع السمك تعاونه امرأته التي لا أدري قرابتها به أو علاقتها معه، وهما من (المولاتو) أيضاً.

ورأيت في هذا الميناء مقهاة بجانب سوق السمك فأردت دخولها، لكن صدني عن ذلك قذارة في أثاثها وثياب العامل فيها، وذلك لكونها معدة لأمثال هؤلاء الصيادين والمتعطلين عن العمل.

وحي راكاس بايهو:

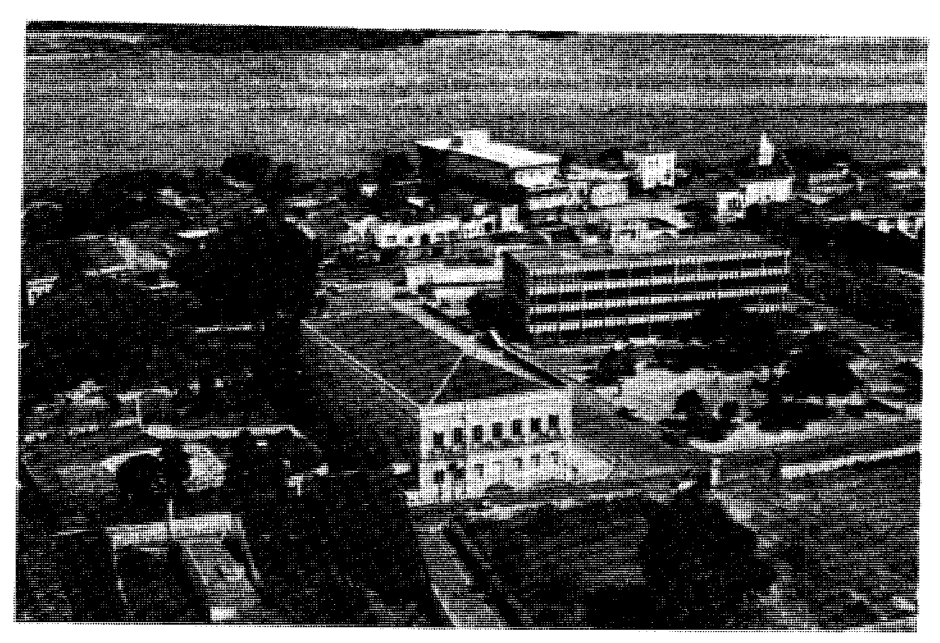
وهـو أحسن حالاً من الحي الذي سبقه وقد صرح الدليل بذلك وذكر أنـه حـي مخـتلط ما بين البيض و(الملاتو) الذي هم المختلطون، والتنويه بأجناس النـاس هـنا ليس مرجعه إلى العنصرية وإنما هو للتعريف، لأن الـبلاد ليسـت فـيها تفـرقة عنصرية، بل هي خالية منها، وقد حاول أحد الأساتذة الباحثين في جامعة في مدينة (بورتو اليقري) عاصمة ولاية (ريو قـراندي دو سـول) أي ولاية النهر الكبير الجنوبي التي هي آخر الولايات البرازيلـية من جهة الجنوب أن يثبت في بحث له مطول ملئ بالشواهد أن الـبرازيل خلـت مـن السياسـة العنصرية لكون المستعمرين فيها هم من البرتغاليـين الذين أخذوا التآخي الإنساني وعدم العنصرية من العرب الذين حكموهم في الأندلس.

وقد نوه هذا الدليل وهو من المختلطين بأنه لا توجد عندهم سياسة عنصرية.

ونـوه أيضاً بما هو معروف من كون هذه المنطقة كانت مسكونة بطوائـف مـتفرقة مـن السكان الأصلاء الذين عرفوا بعد ذلك بالهنود الأمريكيين، مع أنهم ليسوا هنوداً، ولا تربطهم بالهنود الآسيويين رابطة.

قلب المدينة:

لم نطل المكث هنا وإنما ذهبنا فوراً إلى ما أسماه الدليل (السنترو) ومعـناها: الوسط، أي وسط المدينة صارت كلمة (السنترو) غالبة عليه مثل كلمة (الداوي تاون) عند الأمريكيين الشماليين وصارت خاصة بقلب المديـنة التجاري الذي فيه المصارف ومكاتب الشركات الكبيرة، وهكذا صار الأمر في أمريكا الجنوبية بالنسبة للسنترو هذا.



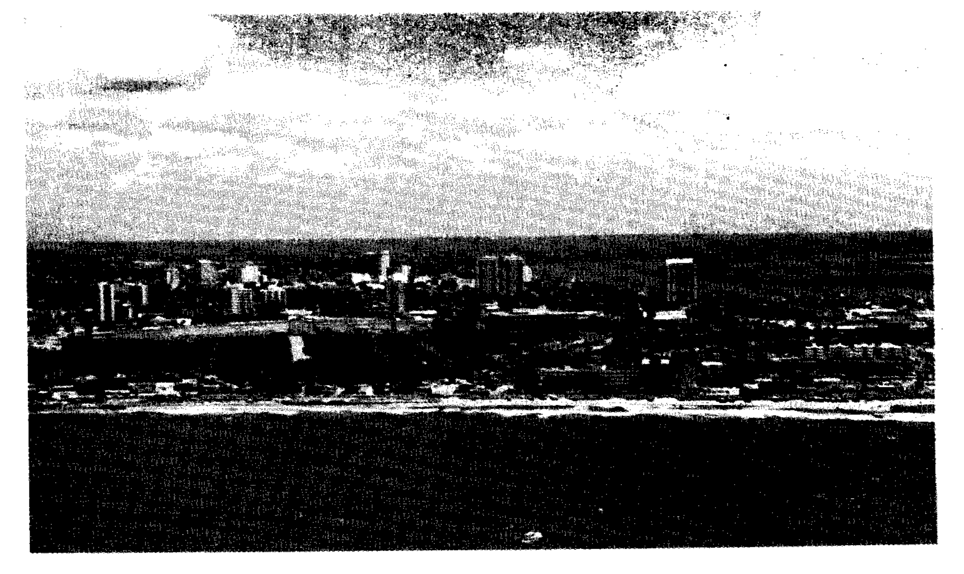
قلب مدينة ناتال

نــوه الدليل بأن السنترو قديم وقال: إنه هكذا كان حتى قبل الحرب العالمية الثانية.

وهــذا الوسط التجاري أبنيته عالية متعددة الطوابق وفيه فندق قديم أصــفر الطلاء مؤلف من ثلاث طبقات ذكر أنه يعد من معالم هذا القلب التجاري أو الوسط التجاري القديم للمدينة، اسمه (أوتيل أندي)، وشوارع الحــي متوســطة السعة، لا هي ضيقة ضيق الشوارع القديمة في مدن أوروبا مثلاً ولا هي واسعة في سعة شوارع مدن أمريكا الشمالية.

النهر الكبير، والبحر الكبير:

و(الــنهر الكبــير): صــفة لهذا النهر الذي هو كبير حقاً وقد صارت اســماً له، حيــنما أضيفت إليه الولاية فسميت ولاية (النهر الكبير الشمالي) وإلا فــإن له اســماً هــندياً قديمــاً غير هذا هو (بطبجي) مثلما أن شقيقه الجنوبــي الــذي سميت على اسمه ولاية النهر الكبير الجنوبي له اسم مميز غير وصفه بالكبير وهو (نهر قورييبا).



النهر الكبير والبحر الكبير بينهما برزخ فيه أحياء من المدينة

وتقـــع مدينة ناتال بين النهر الكبير والبحر الكبير الذي هو المحيط الأطلســـي فـــي موقع مهم جميل، ولكن أهلها لم يجملوها كما جمل أهل المـــدن البرازيلـــية الجنوبـــية مدنهم، فشاطئ البحر ضحل غير جميل، وشاطئ النهر دون ما ينبغي أن تكون عليه ضفة نهر ضخم من خضرة وتنسيق.

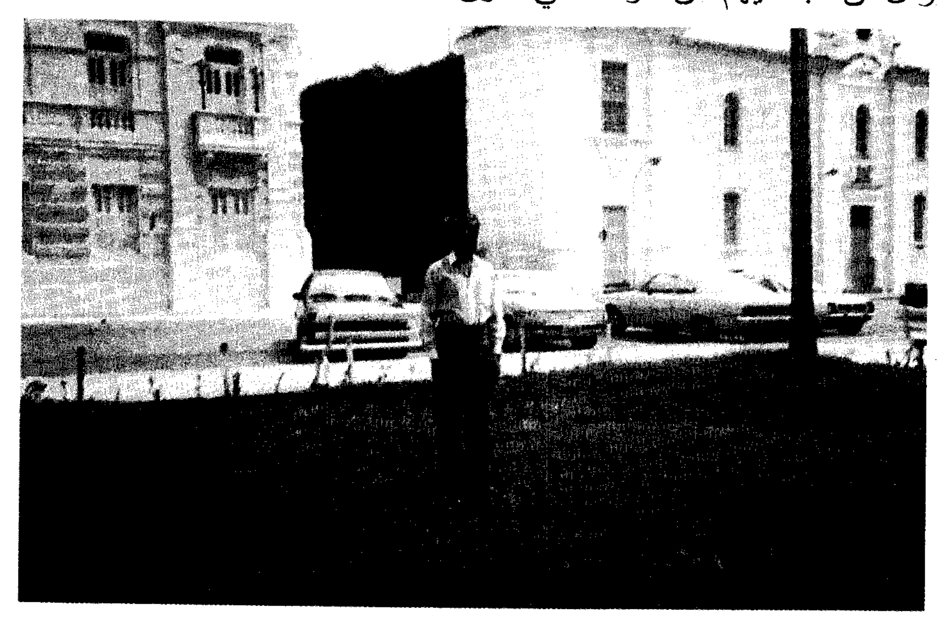
حـــتى شارع الشاطئ الذي هو شاطئ النهر لم يعتنوا بتجميله، مع أنه يستحق ذلك.

حي التلة:

صـــعد الدليل بسيارته حيّاً سكنياً يعتبر وسط المدينة غير التجاري وهـــو واقع فوق تلة واسمه (التوين) أكثر ما رأيت لفتاً للنظر فيه مقبرة مـــرفوعة القبور عن الأرض أكثر من المتر وتعلوها جميعها الصلبان، وشجرة ضخمة جداً تسمى (فيوفيرا) قد ظللت بفروعها شارعين تقع على ناصية كل واحد منهما.

وعلى ذكر الأشجار أقول: إن جوز الهند الذي هو ثمار شجر النارجيل موجود بكثرة في السوق معروضاً للبيع، يفلقون الجوز الأخضر ويشربون ماءه البارد، كما يوجد الجوز الناضج يستخرجون منه الزيت للطبخ، وذلك لكون المنطقة من منابت النارجيل.

وأكثر الناس في هذا الحي وأمثاله من الأماكن الشعبية من المدينة هم المولاتو بمعنى المختلطين وينبغي أن يتذكر المرء أن اختلاطهم ليس مجرد اختلاط عنصرين اثنين كما في بعض البلدان الإفريقية حيث يكون الاختلاط بين السود والبيض وإنما الاختلاط أيضاً في عنصر ثالث هو السكان الأمريكيون الأصلاء الذين يسمون الآن بالهنود الأمريكيين، ولهم أشكالهم المميزة وألوانهم غير الصافية، وتقاسيم وجوههم، بل وأجسامهم المخالفة للإفريقيين والأمريكيين، فهم سمر الألوان لكنها سمرة غير قاتمة وقل أن تجد فيهم من هو صافي اللون.



أمام أبنية قديمة جيدة في ناتال

وأقـــرب ما يقرب صورهم إلى الذهن أن تقول: إن فيهم تقاطيع مغولية وإن لـــم تســـتطع أن تقول إنهم من أصل مغولي فعيونهم ليست واسعة وفيهم كثـــير ذوو عـــيون ضـــيقة وأكـــثرهم تمـــيل عيونهم للضيق كما أن وجناتهم عريضة بارزة، وصدورهم عريضة أيضاً، ويغلب القصر على قاماتهم.

ولذلـــك يـــرى المـــرء مـــنا في (المولاتو) هنا جنساً متميزاً مع أنه في الأصل لم يكن كذلك، وإنما نشأ عن جنس غير متميز، و(لله في خلقه شئون).

وفـــي الســـكان طائفة لا بأس بها في العدد من البيض المتغيرين وهـــؤلاء هـــم الأوروبـــيون اللاتينيون – نسبة إلى لغتهم التي ترجع في أصـــلها إلـــى اللغة اللاتينية وليس نسبة إلى اللاتين في النسب– وقد أثر مقـــامهم فـــي هـــذه البلاد جيلاً بعد جيل عليهم فكسفت ألوانهم، وزايلها الرونق والصفاء، ولكنهم لا يزالون البيض المعروفين في تقاسيم وجوههم وتقاطيع أجسامهم.



شارع رئيسي في ناتال

ومن الغريب أنهم مثلما زايل أجسامهم المظهر الأوروبي النقي زايل نفوسهم الشعور الأوروبي القومي، وزايلها الغرور والشعور بالتفوق على الآخرين،وذلك لكونهم بالفعل لبسوا متفوقين على الآخرين ولا ينتمون إلى عنصر أوروبي واحد متميز، إضافة إلى الشعور الإنساني بعدم التمييز السائد في البرازيل.

ولاحظت هنا شيئاً استغربته وهو وجود بعض فواكه البلدان المعتدلة معروضة للبيع مع أن البلاد تعتبر ذات موقع حار غير بعيد من خط الاستواء، وقال الدليل: إن هذه الفواكه مجلوبة من جنوب البرازيل.

ومعلوم أن جنوب البرازيل يتمتع بجو معتدل، بل إن أقطاره تشبه في جوها جو البلدان المعتدلة في منطقة البحر الأبيض المتوسط.

وأما فواكه المنطقة هنا التي تنتج محلياً فإنها الأنبه (المانجو) والجوافا والموز والباباي والأناناس.

انتقلنا إلى حي شعبي سيئ المظهر اسمه (باي هو كنتاس) أكثر بيوته من طابق واحد، ومن الأشياء السيئة فيه أن مجاري المياه المستعملة تخرج من البيوت فتصب في مجرى واحد في الشارع مكشوف مع أنه في جانب من التلة التي ذكرتها، ويمكن بقليل من العناية وكثير من النفقة أن ترسل هذه المجاري إلى الأماكن المنخفضة في النهر أو إلى البحر.

والدليل على أنه حي للفقراء أن السيارات فيه قليلة، وحتى الأشجار التي فيه ليست نضرة ولم أر فيه مساحات خضراً مزروعة وأكثر الأشجار فيه هي النارجيل.

قرية ايتابو:

لم ترق لي أكثر أحياء المدينة، مدينة (ناتال) التي ينطق أهلها الآن باسمها (ناتاو) وقالوا لي: هذه هي اللغة العامية، وإن كانت تكتب (ناتال) وينطق بها المثقفون كذلك، ولكن البرازيليين لديهم غنة يخفون بها النون إذا كانـــت فـــي آخـــر الكلمـــة مثلما يفعلون في اسم مدينة (سان باولو) فيـــنطقون بـــه (ســـاوباولو) وإن كانوا يكتبونه (سان) ومثل ذلك اليابان يقولون فيها (يا باو) وحتى السودان العربي ينطق أكثرهم باسمه (سوداو).

بقـــي أن نعـــرف معـــنى اســـم (ناتال) بأنه عيد الميلاد وذلك أن المكتشفين البرتغاليين وصلوها قبيل رأس السنة الميلادية، هكذا أخبرني أهلهـــا بمعنى اسمها، وقد ذكرني ذلك باسم مقاطعة في جمهورية إفريقية العنصـــرية، واسمها (ناتال) وعاصمتها مدينة دربند وهو كذلك أخذ من اسم (ناتال) بمعنى عيد الميلاد.



المؤلف بجانب الطريق قرب مدينة ناتال

تركـــنا مديـــنة (ناتال) خارجين إلى الريف مع شارع ذي اتجاهين ولكنه ضيق ورأيت قطاراً غير معتنى به، حتى إن عرباته تبدو قذرة قد بعد عهدها بالتنظيف، وقال الدليل مبرراً عدم العناية به: إنه قطار محلي.

وركبنا جسراً على نهر (ريو قراندي) مخصصاً لعبور السيارات، بجانبه جسر حديدي لعبور القطارات، فوقعنا في قرية (ايتايو).

وقد بادر الدليل قبل أن أسأله بإخباري بأنه لا يعرف معنى اسمها، لأنه اسم هندي قديم وإن كانت القرية الآن ليس فيها من الهنود أحد، فقد كـــان الاسم معروفاً منذ أكثر من أربعمائة سنة، وإنما أكثر سكان القرية الآن من البيض ذوي الأصول الأوروبية.

وقـــد اخـــتار الأوربـــيون مكـــان هـــذه القرية لأنه مرتفع ذو هواء خفيف الرطوبة.

أمعـــنا في الريف ونحن نسير مع الشارع ذي الاتجاهين، تحف به مـــزارع ضيقة للفاكهة منها الموز والأنبه (المانجو) والنارجيل النضر، وليس فيه من السكان إلا الفلاحين، إذ المنازل فيه قليلة.

أنحن في القصيم؟

رأيـــت منظراً شدني على البعد كما لم يشد انتباهي منظر آخر في الـــبرازيل، وذلـــك لكونـــه ذكرني بمسقط راسي بلاد القصيم في وسط الجزيرة العربية الشمالي.



في الشاطئ الجنوبي

ذلـــك هـــو منظر الكثبان الرملية الذهبية قد غاصت فيها الأشجار، والأشـــجار التي في القصيم تغطيها الرمال هي أشجار الأثل في الأكثر وأحياناً على ندرة تكون نخيلاً من نخيل التمر المبارك حين تكون النخلة معـــزولة بجانب تل رملي كان يوجد حاجز ما يمنعه من الانهيال فزال ذلـــك الحاجـــز أو زاد وصول الريح إلى الرمل فصار سفي الرمل على جذع النخلة حتى طمر جزاءاً منها.

وزاد تذكـــري للقصيم عندما رأيت النارجيل غائصاً في الكثبان الرملية كأنما هو بمظهره وموقعه تلك النخلات التي دفن الرمل أسافلها في القصيم.

إلا أن الـــذي أعادنـــي إلـــى صوابي هو منظر الفلاحات هنا فهن بقبعاتهن العريضة الواسعة يؤكدن لك أنك بعيد عن القصيم ونسائه اللاتي تلفعن بأقنعتهن وسحبن مروطهن مما حملني على أن أنشد مع الشاعر:

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحي غير نسائها

مـــع أن الفلاحـــات ذوات القبعات العريضة هؤلاء ليس عليهن ما على المدنيات المرفهات من لباس قصير، أو تبرج ظاهر، وليس هذا من

ورع لديهن ولكنه بحكم العمل وطبيعة الحياة.

ومـــا شـــبهت هؤلاء الفلاحات البرازيليات عند النظر إليهن على البعد، إلا بالفلاحـــات وراعيات الأغنام في تهامة وجبال عسير في بلادنا، ففي بلادنا تلك ترتدي الفلاحات الراعيات قبعات واسعة عريضة على ملابس ضافية.

ولـــيس فـــي هذا الريف بيوت غير بيوت الفلاحين إلا بيوتاً قليلة لملاك الأراضي أقاموها للنزول فيها في أوقات التنزه وقضاء العطلات.

ورأيـــت بقرة بقرب الطريق سرعان ما أبعدت عن سيارتنا عندما شعرت بها فذكرت بذلك بقر الهند، وتحديها للمرور، وكون البقرة هناك لا تتزحزح عن مكانها حتى من وسط الشارع، ولذلك لكونها مقدسة عند الهـــنادك فـــلا تجد من يضربها أو يؤذيها، بل لا تجد منهم من ينهرها، فكأنمـــا هي تشعر بأنها معظمة، بل معبودة يجب على الناس أن يراعوا شـــعورها (البقري)، بخلاف بقرة البرازيل، بل بقر الدنيا كلها، وبخاصة بقر العرب التي يضربون بها المثل في البلادة وعدم الفهم.

نـهر الكثيب:



على النـهر الصغير في شمال نـاتال

ليس هذا اسمه، وإنما هو وصف له من عندي، وذلك أننا مررنا قرب الرمل بنهر صغير يسعى إلى النهر الكبير ليصب فيه فيضيع قبل أن يصب النهر الكبير في المحيط الكبير فيضيع فيه.

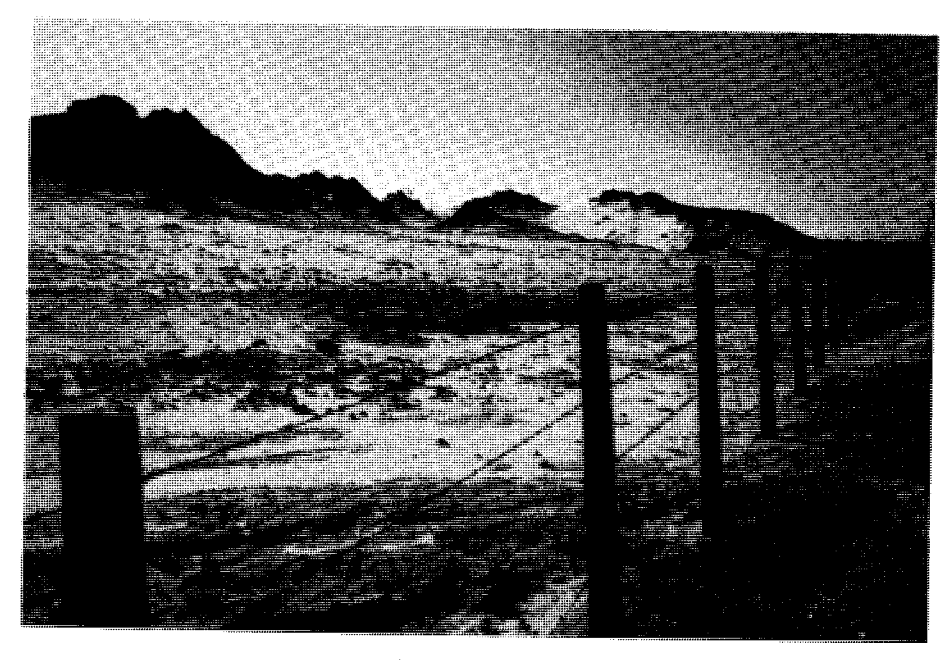
فقلت في نفسي: أنهر قرب كثبان الرمال؟ إن هذا لا يتخيله من نشأ مثلي في بلاد صحراوية ذات كثبان من الرمال.

وليس المستغرب وجود الرمل في النهر فذلك أمر طبيعي ولا أن يخترق مجراه أرضاً رملية، وإنما أن يجري بجانب كثبان رملية مرتفعة.

ولا شك في أن مرجع ذلك إلى كون منابع هذا النهر مثل النهر الكبير من مناطق مطيرة في داخل القارة الأمريكية الجنوبية.

براق البرازيل:

البراق: جمع برقة وهي الرمل التي تركب الحجارة وفي معظم جبال نجد براق حيث يكون الرمل على سفوح الجبال فينزلها الأعراب يبنون عليها بيوتهم من الشعر، لأنها تكون لينة بالنسبة إلى الأرض الصلبة، وأما البلاد المطيرة فإنها لا تكون فيها البراق، وذلك لكون الرياح لا تحمل الرمال السافية التي هي الرمال الدقيقة بسبب كثرة الأعشاب والنباتات ووفرة الأشجار.



براق البرازيل

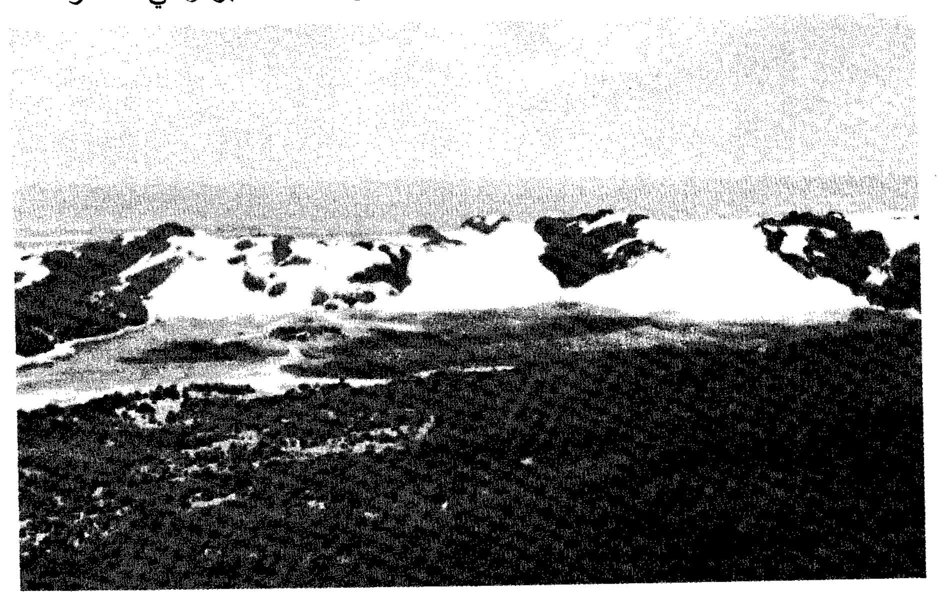
والـذي آثـار هذا هو ما رأيته اليوم على البعد من برقة برازيلية تـؤزر تلة جبلية غير عالية قد أقاموا في قمتها فندقاً اسمه (جمني بايو) وقد صعدت البرقة الرملية حتى كادت تصل إلى ذلك الفندق.

وقـد أعجبنـي بصـفة خاصة منظر الرمل الأحمر في الأرض الخضـراء، فذلك ما أعاد إلى ذهني- أيضاً- منظر الصحراء في الربيع وإن لم تبلغ خضرة الربيع فيها خضرة هذه الأرض البرازيلية.

وشـيء آخـر وهو أنهم أقاموا في هذا الرمل الأحمر بين الربيع الأخضـر أكواخاً قديمة كالأكواخ التي كان يسكنها سكان البلاد الأصلاء قبل أن يصلها الأوروبيون، ومن تلك الأكواخ مقصف كبير.

ورأيـت صـقراً يحـوِّم فـي الجو ولا أدري ماذا يبحث عنه في هذا الجو

الصـــحراوي برمله، الربيعي بعشبه، لأن البلاد الخصبة تجد فيها الطيور الجارحة أمثاله غذاء وفيراً من حيواناتها البرية الصغيرة ومن بغاث الطير وهي صغارها.



مستنقعات على الشاطئ شمال مدينة ناتال

وقفنا عند هذا المقصف الهندي الأوروبي وشربنا من ماء النارجيل الأخضـــر البارد الذي لا تذهب برودته حرارة الجو، ولو كان معروضاً في الشمس الحارة، وذلك لأنه مغلف بألياف سميكة متظاهرة، إلا أنه إذا وضع في ثلاجة فإنه يكون أبرد وألذ.

وبهـــذه المناسبة سألت مرافقي عما إذا كان الناس هنا يكثرون من شرب الكحول فذكر السائق أنه لا يقرب الكحول مطلقاً، أما الدليل فإنه لم يجزم الأمر، وقالا معاً: هناك طوائف من الشبان لا يشربون الكحول لأنه غالٍ ومضر بالجسم.

وذكروا أيضاً أن المخدرات هنا رخيصة وتكاد تكون مبذولة للجميع وقـــالوا: إن الجـــرعة مـــن الكوكايين وهي ملئ حقنة طبية كبيرة يحقن

متعاطـيها نفسـه بها أو يحقنه غيره يكون ثمنها في أوروبا مائة دولار وهـي هـنا تـباع بدولاريـن اثنين، ومع ذلك فإن عدد الذين يتعاطون المخدرات في هذه البلاد أقل من عددهم في أوروبا.

قـالوا: ولذلـك يأتي بعض السياح من أوروبا إلى البرازيل وإلى أمريكا الجنوبية من أجل المخدرات.

فسألته عن العرب، وهل يأتون إلى هذه البلاد فذكر أن مجيئهم قليل جداً وإنما يجيء بعضهم من العاملين في السفن التي تمر بهذا الميناء ولا يـأتون إلـى الـبلاد من أجل المخدرات أو نحوها، وإنما يأتون لصحبة النسـاء، هكذا قال الدليل، وهو يعرف هذه الأمور، لمعرفته بالإنكليزية التي لا يعرفها من أهل هذه المنطقة إلا القليل.

وكان ماء النارجيل الذي شربناه وهو ماء ثلاث جوزات خضر من جوز الهند (٢٧٠) كروزادو ويقل ذلك عن الدولار الواحد.

شاطئ جانيابو:

ويسمونه بلغتهم (برايا دي جانيابو) لهذا المعنى.

وقبله وصلنا قرية (جانيابو) وهي قرية عجيبة ليس أعجب منها إلا شـاطئها الذي يكاد يكون فريداً بين شواطئ العالم فالقرية تقع في منطقة رملـية تكـاد تغـرز عجلات السيارات التي تسير في شوارعها خارج الشارع العام المزفلت مع أن زفته لم يغط إلا جزءاً ضيقاً من وسطه وأما باقيه فإنه تراب مهيل مهمل.



كثيب ونارجيل وحرة (حجارة سوداء) على شاطئ في ناتال

وأكثر ما يرى الناس فيها الحمير والبغال، وتبين لنا السبب في ذلك وهو أنها تكون محاطة بهذه الكثبان الرملية الحمر ولا تستطيع السيارة المعتادة أن تسير فيها.

وقد ذكرني مرآها بمرأى ثلوج الجبال الشامخة في كشمير التي تحتلها الهند، إذ أكثر ما يرى المرء فيها البغال لأنها التي تستطيع السير في جبالها التي تجلل قممها الثلوج مع أنني عندما زرتها كان الوقت في أول الصيف، إذ كان ذلك في منتصف شهر مايو ولكنها بلاد باردة والصيف فيها قصير.

وأغرب شاطئ:

خرجنا إلى شاطئ البحر حيث أوقف السائق سيارته بالقرب منه وحيث وصلنا إلى مقصف مزدحم بالناس في منطقة تقع مباشرة على الشاطئ لا

ينافس كثرة الناس فيه وازدحامهم عليه إلاّ كثرة الحمير وازدحام الناس حولها؛ فكان منظر الحمير في غاية الغرابة إذْ يرى المرء طوائف (البرازيليين) وكفى بهذه الكلمة في التعريف هنا وأكثرهم من البرازيليات اللائى خلعن ربقة الحياء من أعناقهن إن كان الحياء عرف طريقه إليهن في وقت من الأوقات، فقد تجردن من أي لباس إلا لباس البحر الذي يتقلص عليهن حتى يصبح وجوده كعدمه، إذْ لا يزيد على خيطين فيهما رقعتان صغيرتان على الصدر ورقعة ضيقة من خيط رقيق أيضاً فيه رقعة ضيقة على ما كان أسفل من البطن، مما جعل الأوروبيين والأوروبيات يتعوذون من هذا اللباس، و(يا ويح من كفَّره الجاحظ) على حد قول المثل القديم وكأن لسان حالهن يقول عند مقارنة لباسهن باللباس الذي تلبسه الأوروبيات لمثل هذه المناسبات:

وكنت امرءأ من جند ابليس فارتقى بي الحال حتى صار ابليس من جندي

والشيء اللافت للنظرأنهم تعارفوا على أن هذا هو لباس البحر، أو لنقل إنه لباس الشاطئ والبرازيليون معروفة أحوالهم في الشاطئ ولكن القوم يذهبون غادين رائحين في المقاصف والأسواق والنزهات التي تنطلق من هذا الشاطئ وهم بهذا اللباس.

وقد حاولت أن التقط صورة لا يلوث عريها الفاضح هذا الكتاب لأعرضها أنموذجاً أمام القارئ فلم أستطع.

وقد أخبرونا أن أكثر هؤلاء القوم من السياح الأغنياء القادرين الذين قدموا إلى هذه البلاد الحارة من شتائهم الجنوبي الدفئ ، وإن كان بينهم جماعات من أهل هذه البلاد، ولكن يظهر على الجميع آثار النعمة أو على الأقل عدم العوز والحاجة.

سيارات الرمال:

والمـــناظر الأخــرى الجميلة هي في تلاقي الخضرة من مياه البحر الضحلة مــع الحمــرة الذهبية من الكثبان التي تنهال رمالها على الشاطئ حتى ليخيل إليك أنها تريد أن تطمر مياه البحر لأن الرياح السافية تذروها فيه مباشرة.

وقد أغرقت بعض الكثبان الرملية أشجاراً من نخيل النارجيل حتى كادت تبتلعها.



حصان سياحي عليه طفل في شاطئ ناتال
وإحدى سيارات الرمال تنتظر تحت الكثيب

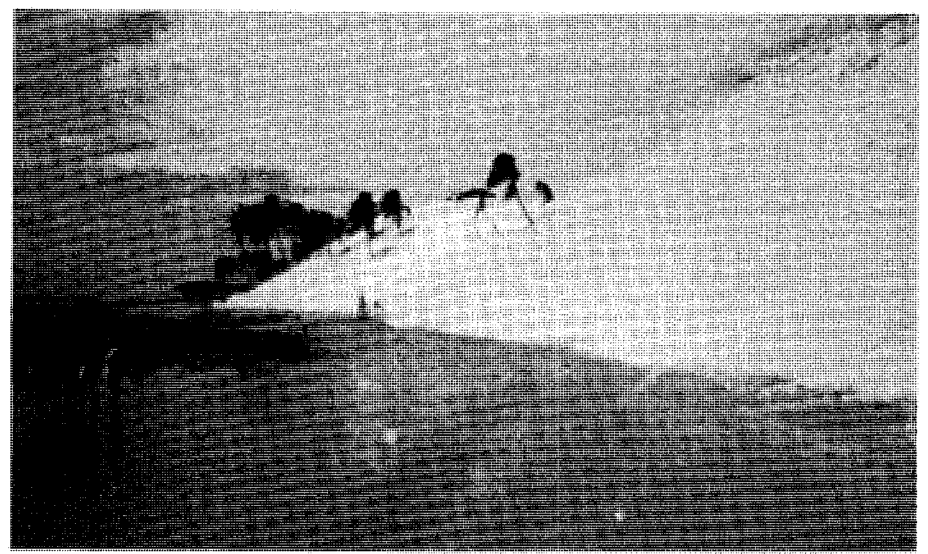
ورأيـــت هنا نوعاً من السيارات الصغيرة ذات العجلات العريضة التـــي أعدت لاختراق هذه الرمال المنهالة فتراها تصعد فيها وتهبط من دون أن تـــتوقف أو تـــتمهل، وإذا احتاجت إلى الوقوف فإنها تقف فوق الكثيب مثلما تقف فوق القاع وتنطلق كذلك.

ويفضـــل بعـــض السياح التنزه بها وهي معروضة للإيجار فوق هذه الكثــبان الرمــلية الواقفــة لأنها ترتفع وتهبط وتستطيع الوصول من ثنايا الكثبان الرملية أكثر ما يستطيعه حيوان الركوب هنا وهو البغل والحصان.

التدحرج على الكثبان:

رأيــت رياضـــة أخـــرى أو لنقل حركة أخرى من الحركات على الـــرمال قد بعد عهدي بها، منذ أن تعديت مرحلة الصبا، وهي التدحرج على الكثبان الرملية، ورأيت هؤلاء القوم وفيها كبار وصغار يمدد الواحد مـــنهم جســـمه على الكثيب ثم يتدحرج معترضاً يهوي به وقوف الكثيب سريعاً وهو لا يمنع نفسه من ذلك.

وعهدنـــا بهذه اللعبة التي كان الصغار وحتى الشبان يمارسونها في كثبان القصيم بأن يمدد الشخص جسمه على الكثيب ويترك له أن ينساب إلـــى أســـفله فيتدحرج تدحرجاً، وبعضهم كان يلف جسمه في ثوب يقي وجهه من الرمل الدقيق ثم يتدحرج.



الرمال التي يحلو عليها التدحرج على شاطئ البحر قرب ناتال

وهذه من الألعاب التي كنا نقوم بها ونحن صغار على كثبان الرمال الواقفـــة، ولا أدري أهـــي باقـــية الآن أم إن الأطفال والشبان قد شغلتهم الشواغل من الذهاب للمدارس ومذاكرة الدروس إلى مشاهدة التلفاز عنها.

ولكنني رأيتها حية في مكان لم أكن أظن أنها توجد فيه، وهو البرازيل.

والتزلج على الرمال:

وهناك أناس لا عمل لهم إلا بيع الزلاجات على الرمال وهي تشبه زلاجات الجليد وتتألف من عصائين وأحذية عريضة تشبه زعانف السمكة وأكثر من رأيتهم يستعملونها هنا هم من الشبان والشابات.

وركوب البحر:

جمع الله لهم في هذا المكان بين خضرة الأرض والبحر وحمرة الرمال التي انعكس مثلها على وجوه الحسان، وذلك بأن الشمس الاستوائية وهي القريبة من خط الاستواء تلسع الوجوه فيسرع إليها الاحمرار، ولكن ليس في ذلك الاحمرار شيء من حمرة الخجل والحياء فذلك لا محل له عندهم من الإعراب.

فكان من يمل من الشمس ولا نقول التشمس لأن الشمس صاحية حارة تلاحقك حرارتها في كل مكان ذهبت إليه، فإنه يذهب إلى مياه البحر يحاول أن يغسل بها أدران هذه الشمس الحارة لاسيما ممن هم من أهل جنوب هذه القارة الأمريكية الجنوبية، فيجد عشرات القوارب الصغيرة والكبيرة وقد استعد أهلها للإبحار بك إلى ما شئته من المسافات والأماكن القريبة أو البعيدة داخل البحر، فتتمتع بأنسام البحر العليلة، وربما صافحت وجهك رشقاته البليلة، وذلك كله في رخص متناه.

وقد ركبت أحد هذه القوارب مع الدليل الذي صار يسأل أهل المركب عن كل شيء نراه، أو نمر به ثم يترجم لي ذلك لما رآه من حرصي على المعلومات عن هذه الأمور.



المؤلف في قارب قرب الشاطئ الرملي في ناتال

ولكـــن رياضــــة البحر لم ترق لي، لأنها تحرمني من متابعة هذه المشـــاهد الغريـــبة على الشاطئ مع أننا لم نلجج في البحر وإنما ساحلنا بمعنى أننا سرنا غير بعيد من الساحل، ثم قفلنا راجعين.

ومـــن الطـــرائف التي هنا منظر أسرة أحضرت معها سيارتها التي هي من ســـيارات الـــرمال وبعد أن شبعت من السير بها على ظهور هذه الرمال المترادفة أركبتها معها في قارب من القوارب وذهبت في نزهة بحرية وهي معها.

بقي أن تعرف أن السيارة الرملية صغيرة الحجم، خفيفة الوزن، لا تستعمل لغير اجتياز الرمال.

معرض الحمير:

عدنـــا إلى حيث انطلقنا قرب المقصف في معترك الزحام، فكان أهم ما رأيـــت الـــناس يـــزدحمون عليه أعداداً كبيرة من الحمير، بعضها ليست عليه بـــرذعة ولا أكاف بأن يكون عاري الظهر تماماً، وبعضها عليه رحال مختلفة والـــناس يستأجرون ما يشاؤن منها بأجرة رخيصة ثم ينطلقون بها على رمال الشـــاطئ، فـــيجدون متعة في ركوب الحمار الذي ربما يكونون لم يركبوه من قبل، ومتعة أخرى في التنزه والتجول في هذا الشاطئ الغريب.



الحمير السياحية في ناتال

وعـــندما رأيـــت أعـــداد الحمـــير المتجمعة وهي متعددة الألوان والأحجـــام ذكرت سوق الحمير في بلدتي بريدة قبل خمسين سنة عندما كانـــت للحمـــير سوق عامرة في يوم الجمعة يجتمع الناس عليها ما بين فـــاحص وراكب وأكثر الذين يشترونـها هم الفلاحون والعاملون في البر الذين يحتاجونـها للحمل والركوب.

إلا أن المفارقة العظيمة هي في الجمهور الذي يلتف الآن حول الحمير وهو جمهور عماده النساء شبه العاريات، والأطفال أشباه العراة، وهم في ألوان أنيقة، وآثار النعمة والغنى عليهم ظاهرة، خلاف ما كان عليه جمهور الحمير في بلادنا في ذلك الزمان.

وركوب الخيل:

رأيت إلى جانب جمهور الحمير أعداداً قليلة من الخيل فأنفت لنفسي ركوب الحمار، وقلت: الخيل أولى، ولو كانت بالصعوبة أحرى، ولم أضطر إلى أن أقول كما قال القائل:

وما عن رضى كان الحمار مطيتي ولكن من يمشي سيرضى بما ركب

وإنما قلت ما قاله الآخر:

ولا أكون كمن ألقى رحالته على الحمار وخلى صهوة الفرس

فتخيرت حصاناً ظننته هادئ الطبع، فارع الطول، قد بلغ سن الرشد أو تعداه، لأنني لا يناسبني ركوب الفرس الجموح، واستأجرته من صاحبه بشرط أن يرافقني لئلا تبدر من الحصان بادرة لا أستطيع فهمها أو لا أقدر على هضمها، فقال ما معناه: إن كل الناس يأخذون الحصان لمدة معينة من الوقت فيذهبون به ثم يعيدونه إلينا، فقلت له: إنني لم أتعود على أن أتعامل وحدي مع الحصان فربما لا يفهمني، أو لا أفهمه في بعض الشأن، فانتدب لذلك رجلاً كان واقفاً عنده تبين أنه من العاملين، وأنه يكفيه الأجر الزهيد لهذا العمل القليل ، فركبت الحصان وهو يقوده بي وأنا أحثه أن ينتبه لما ينوي الحصان بي قبل أن ينفذ ما يريده بالفعل، لأن ذلك مقتضى الحزم.

وقـــد ســـار الحصان ثابت الوطء ثقيل الحركة، ربما كان ذلك من كثرة ما ركبه الراكبون الذين كانوا يستحثونه على سرعة السير لا على تمهلـــه فـــيه وربما كان ذلك لشيء في نفسه هو أن الذي يركبه الآن هو كهـــل من الكهول وليس غانية من الغانيات اللاتي يطفن حوله ويمسحن خده ويواسينه في محنته.

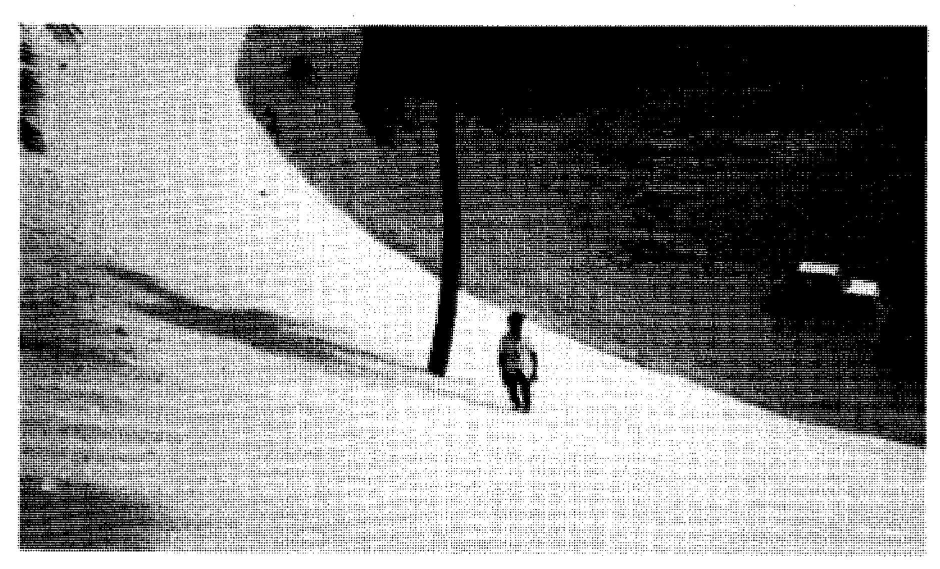
فصرت أحثه على السرعة بدلاً من التأني، وتحركت في نفسي شهوة الفروســـية الكامنة فجعلت أصيح عليه، وأنشد الأشعار الحماسية بين أذنيه، ولكـــن ذلـــك لـــم يحرك له عاطفة، مع أنني رأيت غانية راكبة على مهر ســـريع تمر بنا بسرعة خاطفة، وصار الخَيَّال وهو يسير معي على الأرض مـــع الدلـــيل كان أيضاً يسايرني ماشياً لكونه- فيما يزعم - قد اعتاد على المشي في هذا الشاطئ مع السياح لأن ذلك كان من طبيعة عمله.

صعود الكثيب أو التقدم إلى الخلف:

قصـــدنا كثيـــباً عالياً واقفاً حتى إنه يبدو على البعد كالجبل الأحمر الواقف لولا وجود أشجار من أشجار النارجيل قد دفنها وكاد يبتلعها.

ونزلـــت عـــن الحصـــان أريـــد صعود هذا الكثيب الأمر الذي أضحك الســـائس والدلـــيل وقـــد ظنوا أنهم يعرفون من أمره ما لا أعرفه، إلا أنهم لا يعرفون أنني من بلاد الرمال الحمر، وإن كنت نسيت ذلك دهراً من الدهر.

وكنـــت تخففت من اللباس فلم يبق عليَّ إلا سروال قصير وقميص لـــيس له كمـــان، وهذا يعتبر هنا من لباس المتزمتين بالنسبة إلى لباسهم الذي لا يمكن أن يسمى لباساً إلا من باب الكناية والتعريض.



صعود الكثيب الذي تغوص فيه القدمان على الشاطئ قرب ناتال

وبدأت صعود الكثيب الواقف، وهو ذو رمل منهال من نوع الرمال السافية الدقيقة فغاصت رجلاي حتى ابتلع الرمل نصفي الأسفل من جسمي أو كاد، وصرت أعتمد على ذراعي ومرقفي في الصعود، فكنت إذا تقدمت خطوة عاد بي الرمل خطوة وأحياناً خطوتين، حتى فطنت إلى شيء أنسيته وهو أن كثبان الرمل يحتاج صعودها إلى مهارة منها أن لا تصعد إليها بطريقة مباشرة حادة، بل تصعد وأنت مائل في سيرك يميناً أو يساراً، وهكذا كان، وإن كنت لم أكد أصل إلى ما وصلت منه حتى أخذ التعب مني مأخذه.

فأسرع الدليل السياحي وهو يعرف بحكم عمله ما يعجب السياح يحاول أن يلتقط لي صورة من البعد وهو على الأرض الصلبة، فقلت له: إن المكان بعيد ويجب أن تصعد قليلاً في الكثيب فصعد وهو لا يكاد يصعد ثم التقط هذه الصور وهو يلهث.

أما أنا فقد تشبثت بجذع شجرة من شجر النارجيل أقاوم الانزلاق مع الرمل المنهال وهذه النارجيلة قد غالبها الرمل حتى غلبها أو كاد.

والتقطت صوراً للمنطقة من عرض هذا الكثيب الذي لم أستطع الوصول إلى قمته لصعوبة الوصول إليها إلا بعد إنفاق وقت واستراحة في عرض الكثيب.

ومن المناظر الغريبة التي رأيتها من عرض الكثيب حرة حمراء صغيرة في مياه البحر الضحلة، والحرة في الأصل هي الحجارة السوداء وهذه الحرة فريدة في هذا المكان الذي يغلب على شاطئ فيه الرمل، بل إنه شاطئ رملي غير أن رمله منهال عليه من الكثبان المهيلة.



منظر أشجار النارجيل في كثبان الرمال
يشبه منظر النخيل في رمال القصيم

قطار الشاطئ:

عدت إلى مكان الانطلاق من الشاطئ ودخلت المقصف لشرب زجاجة من الماء المعدني البرازيلي الممتاز، ولم أفرغ من شرب الماء حتى رأيت شيئاً لم أعلم به من قبل وهو قطار يسير على عجلات

عريضة وهو على هيئة مقطورات مفتوحة عدة، يركب فيه الناس بالمجان أي من دون أي أجرة وقد جهزته بلدية المدينة من أجل ترغيب السياح في زيارتها، وركبت فيه كما ركب غيري فسار يتهادى على الشاطئ، ولكنه لا يستطيع الصعود إلى الرمال الواقفة ولا القرب من مياه البحر فكان يسير في طريق ضيقة بين هذا وذاك.

وقال سائق القطار: إن بلدية المنطقة أعدت هذا القطار من أجل أن تتيح فرصة رؤية الشاطئ بطوله للعاجزين عن المشي وعن ركوب الدواب.

وهذا مثال من الأمثلة على سماحة معاملة البرازيليين واللفتات الإنسانية التي يقومون بها وقد تغيب عن غيرهم، وقد ذكرت بذلك موقفاً مماثلاً في منطقة يسمونها حديقة الأحجار، وهي منطقة فيها أحجار طبيعية غريبة الأشكال يبدو بعضها وكأنها أشكال من الحجارة المنحوتة لأنواع من الحيوان وغيرها، وتوجد في ولاية (بارانا) بين مدينيتي (كورتيبا) عاصمة الولاية ومدينة (بونتا قروستا) قد سيرت فيه البلدية المعنية قطاراً كبيراً يسير على عجلات مطاطية يركبه الناس بالمجان ويتجول بهم في هذه المدينة العجيبة، إلا أنه لا يسير إلا في الطرق المزفتة في داخل المنطقة، وقد ذكرت ذلك في كتاب(على أرض القهوة البرازيلية) من سلسلة الرحلات البرازيلية هذه.

هذا وكلما ارتفع النهار زاد وصول المتنزهين حتى كاد موضع تجمعهم من الشاطئ يضيق بهم، وحتى ضاق بهم المطعم الكبير الموجود هناك بالفعل فاضطر بعضهم إلى أن يأكلوا واقفين أو يخرجوا إلى مكان منه في الشمس مفروش بالكراسي.

أما نحن فإنني تناولت الغداء في المطعم واخترت سمكاً أروني إياه وهـو حـي ومعه أنواع أخرى من المأكولات والسلطات، وكانت قيمة الوجـبة لـي ولسائق السيارة الذي دعوته مع الدليل إلى الغداء فأخبرني الدليل أنه يأكل عندهم بالمجان ودفعت ثمن غدائي وغداء السائق ١٤ ألف كروزادو، وذلك يقل عن خمسة دولارات أمريكية للاثنين.

من دخل ظفار حَمَّر:

سـألني الدلـيل وقد فرغت من الغداء عما إذا كنت قد اكتفيت من الـبقاء في المكان؟ فقلت: إنني لا أزال أحب أن أرى من هذا الشاطئ ما لـم أره، وخلعـت الـنعال السبتية (الشبشب) فسرت حافياً ليس عليّ إلا السـروال القصـير، والقمـيص الخفيف، وقلت في نفسي ما قاله المثل العربـي القديـم (من دخل ظفار حَمَّر) وظفار هي منطقة ظفار العمانية و(حَمَّـر): تكلـم باللغة الحميرية، وقد دخلنا ظفار البرازيل فسرنا على الشـاطئ كما يسير المحافظون المتزمتون منهم وأمعنت في السير على قدمي حتى أعييت وعدت قائلاً لرفيق:

هيا إلى المسير.

السجن الرئيسي:

كـنا نسير على الطريق في العودة إلى جهة مدينة (ناتال)، وإذا بنا نـرى مبـنى كبـيراً حولـه أناس كثير فقال الدليل: إن هذا هو السجن الرئيسي في المدينة، بل في المنطقة وإن اسمه (دوتوفون شاتي).

دخلـناه مع أن الحرس يمنعون الناس ولكنه تكلم معهم بأني سائح

أحب أن أرى داخل السجن، من دون أن أطلب منه ذلك وقد رأينا الناس فـــي الخارج واقفين على هيئة صف طويل (طابور) كل ينتظر دوره في زيـــارة أحـــد المساجين، وذكر ضابط السجن أنه لا يوجد عندهم سجناء سياسيون وإنما السجناء هنا هم من اللصوص الذين ارتكبوا جرائم سرقة كبيرة ومن القتلة ونحو ذلك من الجرائم.

وســـألت عـــن كثرة الناس الآن حوله فأخبروني أن هذه هي ساعة الزيارة اليومية.

ولاحظـــت ســـهولة معاملـــة حراس السجن للزوار وللناس عامة، والسجن واسع ذو باحات مشجرة، ويدل مظهره على العناية بالسجناء أما مخبره فلا أعرف عنه شيئاً.

ولاحظـــت أن معظـــم الزوار وهم من الذين لهم أقارب من السجناء هم مـــن الخلاسيين وهم ذووا الألوان التي هي بين البياض والسواد فسألت الدليل عـــن ذلـــك وهو منهم، فقال: نعم إن أكثرهم من المختلطين ثم ذكر أن سكان مديـــنة ناتال يؤلف الخلاسيون فيها ٤٥./. ويسميهم المولاتو بمعنى المختلطين كمـــا ســـبق كما يؤلف السود ٥./. والباقي البيض، كما قال مع أن البيض هنا هم من المتغيرين الذين أثر الجو في ألوانهم فأذهب صفاءها وذهب برونقها.

ثم وقفت عند نهر صغير لم يعرف اسمه، والتقطنا صورة تذكارية عنده.

من الشمال إلى الجنوب:

كنا بدأنا العودة من الشاطئ في الثانية والنصف ظهراً متجهين من الشمال إلى الجنوب نريد المرور بالمدينة لا لنلبث فيها وإنما لنتعدى ذلك إلى جهة الجنوب منها.

فمـــررنا بقلـــبها التجاري الذي وصفته وهو دون كثير من المدن المتوســطة التـــي يماثل عدد السكان فيها سكان مدينة (ناتال) هذه الذين يبلغون ستمائة ألف نسمة.



إحدى ضواحي ناتال

ومررنا بملعب لكرة القدم يتسع لثلاثين ألف متفرج ومعلوم إن أهل أمـــريكا الجنوبـــية بعامـــة وأهـــل البرازيل بوجه خاص لهم ولع عظيم بالرياضــــة، وبخاصة كرة القدم حتى برزوا فيها وهذا بلا شك ناشئ عن كونهـــم ليست لديهم مثل عليا ولا أمجاد تاريخية تشغلهم عن التفكير في مثل هذه الأمور، إضافة إلى ما يدفعهم مثل غيرهم من حب للرياضة عن طريق كثرة الممارسة لها.

لــم نقــف في المدينة وإنما واصلنا السير خارجين منها جهة الجنوب، فوقعــنا فــي ريفــه الــذي هو أجمل من الريف في الشمال، فهو أكثر خصباً وأوفــر خضرة، ومع ذلك يرى المرء الرمال الحمر المرتفعة تطالعه فيه أينما اتجــه بصــره، وقد بدت الكثبان الرملية وكأنها الربى في هذه المنطقة إلا أن بعضها ليست رماله منهالة وإنما هي ثابتة، تركبها أشجار ونباتات برية.



الطريق الريفية خارج ناتال
تطالعها الكثبان الحمر من بين الأشجار البرية

ورأيت الطريق المنطلق من المدينة جهة الجنوب أوسع وأحسن من الطــريق الذاهــب إلى الشمال الذي سرنا فيه في الصباح وجاء الخيال ليقول: إن لذلك علاقة بالبعد عن خط الاستواء أو بالاتجاه إليه فالشمالي يــتجه إلى خط الاستواء حيث المعروف عن السكان فيه أنهم ليسوا من المتعلمين المتقدمين، وربما كان مرجع ذلك في الحقيقة إلى كون الطريق الجنوبــي ذاهــباً إلى مدن وولايات أخرى وهو طريق تجاري ويسمونه فيدرالي بمعنى أن حكومة البرازيل الاتحادية هي التي أنشأته، وتقوم على

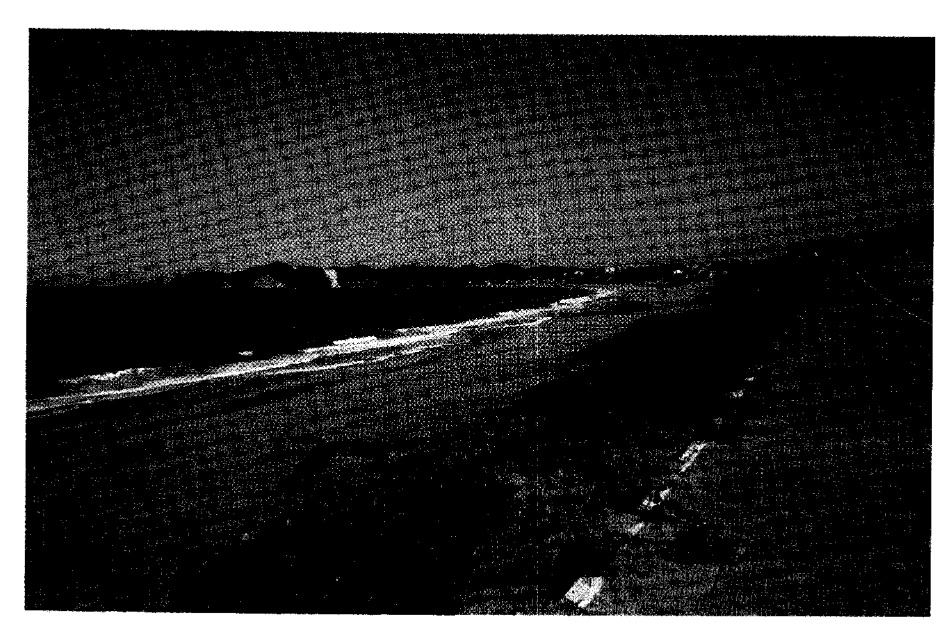
صيانته، بخلاف الطرق المحلية التي تقوم عليها حكومة الولاية وهذا كله من باب التخمين لا اليقين.

شاطئ النقطة السوداء:

وصلنا إلى شاطئ آخر من شواطئ مدينة (ناتال) البعيدة عنها قليلاً جهة الجنوب فهي أحسن من الشاطئ الذي تقع عليه المدينة مباشرة، ويسمون هذا الشاطئ (برايا بونتا نقرا) بمعنى شاطئ المنطقة السوداء، فبرايا: شاطئ بالبرتغالية وبونتا: نقطة. و(نقرا): سوداء وهي مؤنث (نقرو) بمعنى أسود، وعادتهم في لغتهم أن ينصبوا المؤنث ويرفعوا المذكر فعلى سبيل المثال يقولون في أبيض وبيضاء التي هي عكس أسود وسوداء (ابرانكو) بمعنى أبيض ويصفون به المذكر، و(ابرانكا) بمعنى بيضاء ويصفون به المؤنثة.

إن هذا الشاطئ أيضاً كثيب رملي أبيض ولكنه أقل جمالاً من كثبان الشاطئ قبله، وكثبانه أقل ارتفاعاً، ورمله أبيض،وليس ذهبياً، ولكنه ترفرف عليه أيضاً فروع النارجيل الريان، ومع ذلك رأينا فيه طوائف من المتنزهين والمتعرين من الثياب الذين يزعمون أنهم قد ستروا عريهم بلباس أسموه بلباس البحر، وما هو- في الحقيقة- بلباس.

وهذا يثبت أن شواطئ البرازيل كلما من أقصاها إلى أقصاها في محبة اللبث على شاطئ البحر ونبذ اللباس الساتر فيه سواء.



طريق الشاطئ في ريف ناتال

تركـــنا هذا الشاطئ بعد أن استجلينا منطقته، والتقطنا ما شئنا من الصور فيه إذ غادرناه ومررنا بفندق (مارناتال هوتيل) الذي حاولت أن أنـــزل فيه البارحة ولم أستطع، وكان هذا من صنع الله لي لأنه في موقع خلوي بعيد عن المدينة، ويصلح لمن يريد أن يمضـي أوقاتاً من الفراغ في غـــير تجـــول، وهو واقع على البحر كما يدل عليه اسمه (مارهوتيل) إذْ معنى (مار): بحر بالبرتغالية.

منطقة المنتجعات:

تركـــنا الشاطئ الذي فيه فندق البحر، وسرنا مع الشاطئ قليلاً في مـــنطقة خالية من العمارة حتى وصلنا مناطق رملية اسمها (فياكوستيا)، بعضـــها رمـــال عارية من النبات بحيث تبدو كأنها الرمال الصحراوية وربمـــا كان ذلك لكونها تؤخذ منها الرمال للبناء ونحوه لقربها من البحر

لأنـــه لا يفصل بينها وبين البحر إلاّ الطريق المزفت الذي نسير فيه وهو طريق جيد معتنى به، ولا غرو في ذلك لكونه يصل ما بين مدينة (ناتال) وبين هذه المناطق السياحية المهمة التي تعتبر من أريافها القريبة.

وقد رأينا بالفعل مجموعة من الفنادق والأنزال- جمع نُزُل- وهي الموتيلات- جمع موتيل وسماها الدليل بالمنتجعات لأنها مخصصة للتمتع بقضـــاء الإجازات الخلوية وكلها حسن المظهر، جميل الموقع، إذْ يقع ما بين الرمال البيض والشاطئ اللازوردي، وقد رأيناها في سلسلة منتظمة، وإن كانـــت تفصـــل بينها مساحات من الفراغ الذي أكسبها موقعاً خلوياً ممتازاً، ويبلغ عددها خمسة عشر منتجعاً.



الرمال الحمر في جنوب ناتال

واستمر الطريق بين الرمال والبحر ومع ذلك ليس على الطريق أشجار مغروســـة إلا القليل رغم وجود بعض الفنادق والمنتجعات فيه ما عدا أشجاراً من أشجار النارجيل الصغير الذي غرسوه منذ مدة غير طويلة.

ومـــن عنايـــتهم فـــي هذا الطريق أنهم خصصوا جزءاً في أيمنه للمشاة

والدراجــات مع أننا نراه الآن خالياً من المارة، وربما كانت تأتي عليه أوقات يكون فيها مزدحماً، ولم أر في المنطقة عمارة إلا هذه الفنادق والمنتجعات.

ومــررنا بشـــاطئ آخــر اســمه (بابوبتيش) كما يترجم الدليل اسمه بالإنكلــيزية وهم يهتمون بهذه الشواطئ لأنها هي التي يقصدها المصطافون والسياح، إضافة إلى اهتمام البرازيليين المعروف بشواطئ البحر.

على شاطئ المدينة:

والمراد بذلك شاطئ البحر الذي تقع عليه مدينة (ناتال) فقد أسرعنا عائديــن إلــى المدينة فدخلنا إليها مع ضواح ذات دارات (فيلات) غير أنــيقة، حتى وصلنا إلى فندقنا الذي أسكن فيه وهو فندق يقع على شاطئ الــبحر، ولكن الشاطئ عنده غير جيد بالنسبة إلى تلك الشواطئ الرملية الجمــيلة التي ذكرتها، وأجمل ما فيه تراقص الأمواج وهي تتكسر على حاجز صخري داخل البحر قبل أن يصل إلى اليابسة.

وتجــاوز مــنطقة الشاطئ التي فيها الفندق فذهبنا مرة أخرى إلى الــنهر الكبــير (ريو قراندي)، وكانت الريح قد تحركت فصارت تذرو الــرمال الدقيقة على طريق الشاطئ فترى الرمال تجري فوقه كالأدخنة مما لا يختلف عن الموجود في صحراتنا العربية في بعض الأماكن.

ونزهة الأقدام:

عدنـــا إلى الفندق في الرابعة والنصف وقد شفيت النفس من رؤية هــذه المدينة، وضواحيها، فانصرف السائق الدليل فأطلقت لرجلي العنان وأخــذت أجــول فــي شاطئ المدينة وما حول الفندق من أحيائها، ولم تعجبني الجولة فيها لو لا الإطلاع على بلد لم أطلع عليه من قبل.

ولاحظت أن أكثرية أهلها من المختلطين وليسوا من البيض حسـ قال الدليل، إلا إذا كان يعد من كان يغلب عليه البياض من البيض، وإن كانت تبدو عليه سمات المختلطين وقسماتهم، والمدينة غير جيدة في شوارعها ومنازلها بقياس المدن البرازيلية التي تماثلها في عدد السكان وهي أشبه بمدن العالم الثالث غير الجيدة.

وكان الدليل قد حصل لي على تمديد الإقامة في الغرفة.

وبعد المغرب سرت على قدمي أيضاً، ولكنني لم أجدِ ما يسترعي انتباهي، فأسرعت أصلي المغرب والعشاء وأنام.

ولم أشعر وأنا مستغرق في النوم في العاشرة إلا بباب الغرفة يطرق وإذا به الدليل يقول: إنني جئت لأصطحبك في سهرة ممتعة فقلت له وأنا أغالب النور الذي بهر عيني بعد النوم: يا هذا إنني لا أريد السهر ولو كنت أريده لأخبرتك من قبل، وما بك حاجة إلى أن توقظني في هذه الساعة.

فلم يعتذر وإنما قال: كل السياح يسهرون، وهذه السهرة لن تطول ففيها كذا و كذا وتنقضي في الواحدة بعد منتصف الليل.

ولم يعتذر وإنما تركني غير راض، مما يدل على أنه كان يؤمل أن يكسب مني شيئاً في هذه السهرة ففاته.

يوم الجمعة ١٤٠٨/١٢/٩هـ ١٩٨٨/٧/٢٢م

صباح ناتال:

كان صباح ناتال هذا اليوم غائماً ماطراً خلاف يوم أمس ومع ذلك لم يكن بارداً في هذا اليوم من أيام الشتاء في النصف الجنوبي من الكرة الأرضية الذي تقع فيه هذه المدينة ولكنها قريبة من خط الاستواء قرباً

يصد عنها البرد إذ تقع على خط العرض ٧ جنوب خط الاستواء، إلا أن الهواء إذا هب كان بارداً، وليس حاراً.

ورأيت بطاقات الدعاية السياحية في الفندق تقول بالبرتغالية: ناتال بلاد الشمس وهذا يصدق عليها أمس.

وبيـــنما كنت أتناول طعام الإفطار الفاخر في الفندق كنت أفكر بما بقـــي لـــي في هذه المدينة التي رأس مالها السياحي الشواطئ المتعددة، والمنتجعات البحرية الكثيرة، والرمال الحمر والبيض، وقد رأيت ذلك كله لذلك عزمت على السفر اليوم إلى ولاية (بارايبا) المجاورة بطريق البر فهي قريبة لا تزيد المسافة إلى عاصمتها (جُوًّا بوسوًّا) إلا ١٩٨ كيلومتراً والحافلات التي ذكروا أنها جيدة تسير إليها على رأس كل ساعة.

لاسيما أنني لن استفيد من التجول في الجو الغائم الذي يرسل المطر رذاذاً.

وعلـــى ذكـــر المطـــر أقـــول: إنني لاحظت اليوم في هذه المدينة مالاحظته في مدينة (رصيفي) قبلها وهو أن الريح إذا كانت جنوبية قوية انهمـــر المطـــر، فذكرت بذلك مثلاً للفلاحين في بلادنا يقول: "إذا هبت جـــنوب، فأترك الغروب.. والغروب" جمع غَرْب وهو كالدلو الكبير من الجلـــد يخـــرج بها الماء مَن البئر لري المزروعات، ويريدون بذلك أنها جديرة بأن ينزل منها المطر فيروي الزرع بدون تعب.

ولكن هؤلاء القوم لديهم غير المطر أنهار منها ذلك النهر الكبير العظيم الـــذي تقـــع عليه المدينة، ومع ذلك يرى المرء مظاهر الفقر والعوز كثيرة في المدينة، ولا أشك في أن مرجع بعض ذلك إلى قلة العمل المثمر.

ودفعـــت للفـــندق مـــا طلبه أجراً لليلتين فيه مع ما تناولته فيه من طعام (٢٦) دولاراً أمريكياً للغرفة لليلة الواحدة غير الطعام.



ولاية باراييبا



ولاية بارييبا.   **العاصمة:** جوًّا بيسوا.

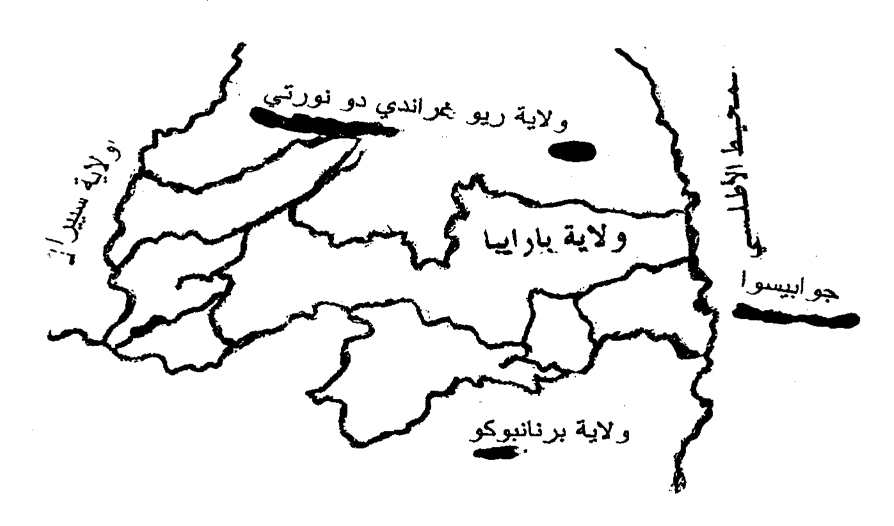
الموقع: في شرق المنطقة الشمالية الشرقية.

عدد السكان: ٣٣٨٠٠١٨ نسمة

المســاحة: ٥٦٥٨٤,٦ كــم مربع.   **الكــثافة السكانية:** ٥٩ نسمة/١كم مربع.

الأنهــار الرئيســية: بارييــبا، بيانكو، بيرانياس، تابيروا، مامانغوابي، كوريماتوا، غرامامي، دو بيشي.

نسبة الوفيات بين الأطفال: ٦٥,٥   **نسبة الأمية:** ٣٩,١١./..



ولاية بارايبا

ولايــة بارايبــا التي نقصدها الآن عاصمتها التي سننزل فيها هي (جُوًّا بوسِوًّا) وهي متوسطة السعة بالنسبة إلى مساحة الولايات البرازيلية الأخرى، إذْ تبلغ مساحتها (٥٦,٣٧٢) كيلو متر مربع.

يبلغ عدد سكانها ثلاثة ملايين و١٥٠ ألف نسمة أكثرهم من (المولاتو) الذين هم المختلطون ما بين العناصر السكانية الثلاثة التي أقدمها في المنطقة الهنود الأمريكيون وهم السكان الأصلاء الذين كانوا في البلاد قبل وصول الأوروبيين إليها والأوروبيين الذين أكثرهم البرتغاليون والأفارقة الذين جلبوا إلى المنطقة عبيداً من أجل أن يقوموا بالأعمال الشاقة فيها من الزراعة وغيرها تلك الأعمال التي لا يصبر عليها أو لا يقوى على تحملها المستعمرون الأوروبيون آنذاك، وبخاصة أنه لم تكن توجد في تلك الأزمان الآلات الزراعية التي تكفي الواحدة منها عن عدد كبير من العمال.

في محطة الحافلات:

لم يحضر الدليل السياحي مبكراً فأسرعت استدعي (تاكسياً) من الشارع وطلبت منه بالإشارة وما تيسر من العبارة مما أعرفه من البرتغالية أن يذهب بي إلى محطة الحافلات التي تسافر إلى مدينة (جُوًّا بُوسُوًّا) عاصمة ولاية باراييبا، وهو كأهل الفندق لا يعرف حرفاً واحداً من الإنكليزية.

سار بي طويلاً وسط أحياء من البلدة حتى خشيت من بطئه ثم تبين أن محطة الحافلات في جانب بعيد من المدينة على حدود الريف بعيداً عن الفندق، وطلب أجرته (٨٩٠) كروزادو: أقل قليلاً من ثلاثة دولارت فأعطيته ألف كروزادو جزاء أمانته ومحاولته التحدث معي بالبرتغالية.

ووجدت المحطة واسعة غاصة بالمسافرين القادمين من ركاب الحافلات، وفيها مكاتب عديدة لقطع التذاكر، وكل جهة أو شركة لها مكتب خاص، وهي نظيفة معتنى بها.

وقد ذهبت أقرأ الأسماء المكتوبة على شباك التذاكر فلم أهتد إلى اسم (جُوًّا بُوسْوًّا) فقادني رجل سمح إلى محطة ذكر لي أنها تقطع التذاكر

ووجـــدت فيها رجلاً أفهمني بلطف رغم كثرة شغله أن الحافلة التي تقوم بعد ٥ دقائق مليئة وعليَّ أن أنتظر التي تقوم بعدها بساعة إذا أردت.

فقطعـــت تذكـــرة منه ثمنها (٦٦٠) كروزادو وذلك أكثر قليلاً من دولارين وهـــو أرخـــص كثيراً من أجرة (التاكسي) الذي أحضرني من الفندق إلى المحطة، مـــع أن التاكســـي أظهـــر لـــي أنه أحتسب أجرته بموجب عداد السيارة ثم أضاف علـــى مـــا ســـجله العـــداد مبلغاً آخر بعد أن نظر في قائمة له، وقد أخبروني أن انطلاق الحافلة سيكون في الحادية عشرة والنصف قبل الظهر.

أخـــذت تذكرتي في جيبي ورحت أتمشى في هذه المحطة الكبيرة وليس معي ما يثقلني من لباس أو متاع، ولا ما أخشى عليه من الضياع مـــن نقود أو نحوها، فقد تخففت من ذلك وتركت ثقله في (رصيفي) كما قدمت، وكنت أشعر بشيء من القلق في أول الأمر لكوني وحيداً لا أحسن لغة القوم، ولكنني شعرت بالثقة بينهم فأكثرهم معه أمتعته وقد أبقاها معه وبعضـــهم رأيـــته لا يبالي حتى بأن يحد النظر إليها، والقوم متواضعون ووديـــون، كأنما أنت منهم حتى وإن لم تكلمهم، وبخاصة أن أكثرهم هو في مثل لوني فالشقر فيهم قليل والسود أقل.

وجلست على طرف كرسي من كراسٍ أسمنتية في المحطة.

وكـــان مـــا يحيرني هو أن الإعلانات التي لا يفتأ مكبر الصوت في المحطة يذيعهـــا هـــي باللغـــة البرتغالية وحدها، ويصعب عليّ متابعتها فكنت أسأل أقرب الناس إليّ سواء أكان رجلاً أم امرأة وحتى صبياً عن التي ذكرها الإعلان.

وأخيراً سألت عامل التذاكر عن الموقف الذي تقف فيه الحافلة التي ستسافر إلى (جوا بوسوّا) فأراني إياه مع موقف آخر مجاور.

وقبـــيل الموعـــد المحدد وهو الحادية عشرة والنصف رأيت حافلة

تقف في هذا الموقف والناس يسارعون للركوب فأسرعت معهم إلا أنني سألت السائق فذكر بلدة أخرى غيرها.

وقد قضيت بعض الوقت واقفاً أشرب القهوة من محراب (كوشك) بجانب المحطة.

السفر بالحافلة:

في الحادية عشرة والنصف إلا دقيقتين اثنتين وقفت حافلة في الموقف وأعلن مكبر الصوت للركاب الذين سيسافرون إلى (جوا بُوسُوًّا) أن يصعدوا إلى السيارة وكان بعضهم قد وقف قبل دقيقتين أو ثلاث في الموقف، فأسرعوا يصعدون للحافلة، وصعدت معهم إلا أنني اخترت مقعداً خلفياً ليس لي فيه جار لأنه أوسع لي، إذ حدثتني نفسي أنني قد أستطيع أن أكتب والحافلة تسير.

وفي الحادية عشرة والنصف تماماً تحركت الحافلة أي في الموعد المحدد من دون أي تأخير.

وكانت السماء قد أصحت وطلعت الشمس حارة كالعادة، إلا أن الهواء بارد، ووضعت حقيبتي الصغيرة الوحيدة معي في الرف الذي فوق رأسي.

وسألت جاراً أمامي في المقعد عن المسافة من (ناتال) إلى (جوًّا بوسوًّا) فقال: ألم تسمع ما قاله المكبر، قلت: لقد سمعته ولكنني لم أفهمه فقال: إنه ذكر أن المسافة (٢٠٠) كيلو تقطعها الحافلة في ثلاث ساعات، إذاً ليست المسافة ١٨٩ كيلومتراً كما أخبروني من قبل، وربما كانت الحافلة تعرج فتمر ببعض القرى إلا أنني لاحظت أنها تنزل أناساً أثناء الطريق وتركب آخرين.

والمقـــاعد مـــرقمة بأرقام التذاكر ولكنهم يتسامحون في ذلك إذا لم يجلس المرء في رقم مخصص لغيره بمعنى أنه قد يجلس في مقعد غير المقعد المخصص له إذا كان ذلك المقعد ليس فيه أحد.

وهـــي مقـــاعد جلدية مريحة تشبه مقاعد الركاب في الطائرة، إذْ تستطيع أن تضغط على زر في ذراع المقعد فيذهب إلى الخلف فتستطيع أن تمـــد ظهـــرك إلـــى الخلف ورجليك إلى الأمام براحة وسهولة، وفي الحافلة حمام جيد في آخرها.

وكنت أملت أن أستطيع الكتابة في الحافلة المريحة فوجدت أن ذلك غير ممكن لأنها تتمايل وأحياناً تعثر بشيء في الطريق.

الضواحي الرملية:

أخـــذت الحافلــــة تشـــق ضــــواحي مدينة (ناتال) الممتدة المتسعة، والكثـــبان الرملية تطالعنا في أكثر الجهات، وأكثرها تكاد حمرته الذهبية تعكس ضوء الشمس الحاد، وبعض الرمال المنبسطة قد غطتها الخضرة.

ريف الولاية:



ريف ناتال

غادرنا ضواحي المدينة ونحن متجهون جهة الجنوب فوصلنا الريف الخالص وهو ريف غير جميل بالنسبة إلى أرض البرازيل الجميلة الخضراء، إذْ أكثره أعشاب برية وأشجار من أشجار النارجيل تبدو كأنها لا تلقى العناية، ثم حسُن منظر الريف وظهرت بعض الحقول الزراعية التي ربما كانت لأعلاف الحيوان وحسن منظر النارجيل فصار نضراً ومعه أشجار من أشجار الفاكهة المحلية التي من أبرزها هنا أشجار الباباي.

ومر الطريق فوق نهر صغير سألت عنه الشخص الجالس في المقعد الذي أمامي لأنه لا جار لي فلم يعرف اسمه، وذلك لكونهم لا يلقون بالاً لهذه الأنهار الصغيرة ولوفرة المياه عندهم، ووجود بعض الأنهار الكبيرة وكثرة الأمطار.

النهر الكبير الجنوبي والنهر الكبير الشمالي:

قدر لي أن زرت ولاية (ريو قراندي دوسول) ومعناه: النهر الكبير الجنوبي أو ولاية النهر الكبير الجنوبية، وذلك في شهر يناير من هذا العام، فنزلت في مطار عاصمتها (بورتو اليقري) التي يعني اسمها (ميناء الانشراح) فبرتو: ميناء، و(اليقري) معناها الانشراح أو الانبساط بالبرتغالية.

وكنت مع بعض الإخوة من أهل ولاية (سانتا كاترينا) المجاورة من جهة الشمال، بالسيارة لمسافة ٣٠٠ كيلو متراً اخترقنا فيها ولاية (ريو قراندي دوسول) التي هي بالفعل آخر ولاية من ولايات البرازيل من جهة الجنوب، ولكن (سانتا كاترينا) تقع جهة الشمال منها فذهبنا شمالاً حتى اخترقنا حدود الولايتين، وسرنا برهة في ولاية (سانتا كاترينا) حتى وصلنا مدينة (كرسيوما) حيث اجتمعت بالمسلمين فيها وقدمت لهم شيئاً من المال مساعدة على إنشاء أول جامع في المدينة، وكانوا قد حصلوا

على أرضه وجمعوا مبلغاً غير كافٍ من المال لبنائه وشجعتهم على البدء بالبــناء وإن كــانوا لا يملكون كل ما يلزم من نفقة، وقلت لهم: إن تجاربنا في رابطــة العــالم الإسلامي قد دلتنا على أن الإخوة الذين يبدؤون ببناء المسجد ييســر الله لهــم مــن يســاعدهم علـــى إتمام بنائه، لأن القادرين على التبرع يتــبرعون لإكمــال المسجد الذي بديء به أسرع مما يتبرعون لمسجد لم يبدأ البناء فيه بعد.



في الطريق بين ناتال وجوابسوا

ثم عدت بالسيارة معهم إلى عاصمة تلك الولاية الجنوبية ومن هناك ذهبــت مــع أخــوة آخرين إلى أجمل مدن البرازيل الجميلة وهي مدينة (قــرامادو) وقــد ذكــرت ذلك كله في كتاب (جنوب البرازيل) من هذه السلسلة من الرحلات البرازيلية، وهو مطبوع.

وعندما قارنت ذلك في ذهني مع ما أراه الآن في ريف هذه الولاية التــي يقرب اسمها من اسم الولاية الجنوبية لولا الكلمة النافية لذلك وهي

كلمـــة الشـــمال المنافية للجنوب، ويا بعد ما بينهما رغم ذلك رأيت أن لا وجه للمقارنـــة، فهذه الولاية (ريو قراندي دو نورتي) أقل جمالاً في كل شيء سواء فـــي طبيعة الأرض أو في خصبها وكثرة أعشابها أو في تنوع فاكهة الجنوبية التـــي هـــي فاكهة البحر الأبيض المتوسط فضلاً عن أحوال السكان، ومظاهر الجمال المتجلي فيهم في الجنوب، وأنشدت مع الشاعر قوله:

وقد تلتقي الأسماء في الناس والكنى كثيراً ولكـــن لا تلاقـــي الخلائق

والخلائق هنا إذا أريد بها حسن المعاملة والمجاملة في المقابلة فإن الـــبرازيل كلهـــا قد أخذت منها بنصيب وافر سواء منها جانبها الشمالي الاســـتوائي كهذه الولاية وجانبها الجنوبي المعتدل كالولاية الجنوبية التي ذكرتها، أما إذا أريد بذلك الصفات والحلى الأخرى.

فشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيـــد سليم والأغـــرّ بن حاتـــم

ولـــيس الفرق بين الولايتين المتباعدتين الجنوبية والشمالية هو ما ذكرته فقط، وإنما هو أيضاً في الصناعة والتعليم فالجنوب أرقى في ذلك مـــن الشمال والدليل على ذلك أن قادة القوم وكبار الموظفين منهم تزيد نسبة أهل الجنوب في الوظائف الحكومية على مثيلتها من أهل الشمال.

ولـــك أن تعجب أن ترى الجنوب أرقى من الشمال في هذه القارة الأمريكية الجنوبية مع أنك في بلادك لازلت تقرأ وترى أن الشمال أرقى من الجنوب.

وهـــنا شيء مهم آخر لابد من أن يطرأ على ذهن القارئ العربي المتتـــبع لمجريات الأمور في البرازيل وهو أن العرب في الجنوب أكثر مـــنهم فـــي الشـــمال، وقد تسنم أبناء المهاجرين العرب في الجنوب من

الوظـــائف الحكومـــية والأهلية كإدارات المصارف والشركات أكثر من العرب أهل الشمال مع أن العرب على وجه العموم هم قلة في الشمال.

الإسلام في ناتال:

وهذا هو السبب الذي جعل الجمعيات الإسلامية والمساجد وفصول تعليم القرآن الكريم تكثر في الجنوب، والوسط وتقل في الشمال والشرق، لكون المسلمين قلة في الشمال، أو ربما لا يكاد يكون لهم وجود محسوس في بعض الولايات مثل ولاية (ريوقراندي دو نورتي) هذه.

وقـــد ســـألت الدليل ونحن نمر بالمدينة أن يصلني بأحد التجار من العـــرب حـــتى أسأله عن المسلمين في المدينة، فلم يعرف منهم أحداً، مع أن العـــرب إذا وجـــدوا فـــي مديـــنة مـــن المـــدن فإنهم يكونون من المعروفين المشـــهورين فيها كما فعلت عندما وصلت مدينة (سلفادور) عاصمة ولاية بهية عـــندما لم أعثر على مسلمين لأنه ليس فيها جمعية إسلامية ولا مسجد فسألتهم عـــن العـــرب فدلوني على تاجر مسيحي من لبنان أخبرني بكل ما أردته عن العـــرب فيها ومن ذلك أنه لا توجد فيها جمعية إسلامية وإنما يوجد فيها النادي العربـــي وأكثر اعضائه من المسيحيين من سوريا ولبنان وفلسطين وفيهم نحو خمسة أشخاص فقط من المسلمين، ويقصد بذلك المنتسبين لذلك النادي.

هذا وقد أصبح الطريق واحداً للسيارات المتقابلة إلا أنه جيد.

ومررنا بعدة قرى لم أجد من استطيع أن أفهم منه شيئاً عن أحوالها لصـــعوبة التفاهم معهم بالبرتغالية بسبب عدم معرفتي بها ولا بالإنكليزية لعدم معرفتهم بها.

ومعظم بيوتها من طابق واحد من الآجر.

أنحن في شرق أسيا؟

أمعنت الحافلة في السير على الطريق وازداد الحر عندما ارتفع النهار وكثرت حقول قصب السكر، فصار الريف يشبه منظره منظر جنوب آسيا الشرقي مما جعلني أتساءل: أنحن في جنوب آسيا الشرقي؟

ولا يفرق بين الجهتين إلا أن الريف البرازيلي الذي نمر به الآن أقل خصباً من الريف في جنوب شرق آسيا، وشيء مهم آخر وهو مظهر السكان فركاب الحافلة مثلاً أكثرهم من البيض المتغيرين الذين صارت ألوانهم في ألوان العرب الشماليين ويليهم (المولاتو) بمعنى المختلطين، وليس فيها أحد من السود، وأما الفطس القصار سكان جنوب آسيا الشرقي فإنه لا يوجد منهم في هذه المنطقة أحد.



محطة في الطريق بين جوابسوا وناتال

وقــد وقفت الحافلة في محطة عند إحدى القرى فنزل منها ركاب وصــعد إليها آخرون ولكن ذلك كله كان بأعداد قليلة حتى إنها لم تمتلئ بالركاب منذ أن صعدنا إليها حتى الآن.

بل إنني عددت ركابها فوجدتهم ٤٦ راكباً دفعوا (٩٠) دولاراً أجرة ركوبهــم مجتمعيــن فهذا مبلغ ضئيل جداً إذا ذكرنا ارتفاع قيمة الحافلة وكــثرة الموظفين والعاملين، حتى إننا عندما وقفنا في هذه المحطة صعد فيها مفتش على التذاكر والركاب ونزل في محطة بعدها.

ثم استأنفنا السير ومر الطريق فوق نهر كدر المياه، ربما كان ذلك لكونه قادماً من أماكن مرتفعة أو بسبب سيول كثيرة انصبت إليه.

الخلاء الخالي:

أصــحرت الحافلة بمعنى دخلت في الصحراء والمراد بذلك أرض الخلاء الخالي من المنازل والعمارة، وليس المراد الصحراء العارية من الشجر والنبات فلا يزال العشب والشجر يجلل الأرض إلا أننا لم نلبث أن عادت حقول قصب السكر في الإنتشار.

ومن سيئات هذه الحافلة أنه ليس فيها تعريف في الأماكن التي تمر بها ولا شرح لأحوالها كما أنني لم يكن بجانبي جار لأسأله والقريب مني لا يعــرف الإنكليزية، وكان بإمكان الشركة أو المؤسسة التي تسيرها أن تطبع كتيباً يحتوي على بيان حال كل ما يمر به الطريق بعدة لغات تبيعه علـــى الــركاب أو توزعه عليهم بالمجان ثم تستعيده منهم عند الوصول لتوزعه على ركاب آخرين بعد ذلك.

الــركاب كما عهدنا أهل البرازيل ذوو طبيعة سمحة ومحبة لإفادة الآخرين لولا حاجز اللغة.

والحقيقة أن الرحلة في الحافلة هي ممتعة حقاً فالمرء يرى الريف والقـــرى، ويصاحب في الحافلة أناساً كحاملي المسك أما أن يحذيك وإما أن تشم منه ريحاً طيبة.

وإذا أردت الانطـــواء على نفسك، ولم ترد أن تتحادث مع أحد فإن ذلك بيدك فلن تجد من يضايقك أو يرغمك على الكلام.



منظر الطريق بين ناتال وجوابسوّا

هذا وقد انقطع منظر أشجار النارجيل من الطريق وربما كان ذلك لابتعاد الطريق عن ساحل البحر، لأن النارجيل ينمو في الأماكن الرطبة غير البعيدة من ساحل البحر أكثر مما ينمو في غيرها مع أنه ينمو بعيداً مـــن الـــبحر حـــتى في المناطق الداخلية إذا كان هواؤها رطباً ومياهها كثيرة.

ما أرخص الغذاء:

أقــبل مضــيف مــن مقدمة الحافلة أشبه بالجابي يحمل معه شطائر مــنوعة وقواريــر مليــئة بالأشــربة ومنها الماء المعدني الفاخر فاخترت شــطيرة كبــيرة بالجبن الأصفر الجيد مع زجاجة من شراب الفانتا، فطلب ثمــنها (٧٠) كــروزادو وهــذا المبلغ هو أقل من ربع دولار أمريكي، إذا الــنقود التي معي صرفت الدولار بـــ ٣١٠ كروزادو منها، ولما تركت له بقية المائة بمثابة الحلوان (البقشيش) وهي مع الثمن تعادل ثلث دولار شكر وربما ذكر ذلك لأنني لاحظت أن الركاب لا يتركون له شيئاً من النقود.

قرى الطين:

بقيــت ساعة واحدة على الوصول إلى مدينة (جوا بوسوّا) عاصمة ولايــة (باراييــبا) فوصلنا إلى قرية فيها بيوت من الطين قليلة وبعضها بــيوتها مبنية من لبن الأسمنت أو مبلطة بالأسمنت ثم مررنا على جسر فوق نهر صغير، ورأينا أول مصنع في الطريق كله بقرب الطريق.

وقــبل الوصــول بنصــف ســاعة عادت أشجار النارجيل إلى الظهور وكــثرت العمــارة فــي الريف وقلت حقول قصب السكر، ولم أر علامات أو أرقاماً على المسافة لكن جاري الذي أمامي في الحافلة أخبرني بذلك.

هذه جوا بُوسُوّا:

ســيأتي الحديــث عــن معنى اسمها وسببه لأنه غريب وطويل، ولذلك سمعتهم يختصرونه فيقولون فيها (بوسُوّا) فقط أي يحذفون المقطع الأول منه.

أول مــا وصــلنا منها ضواحٍ غير فاخرة أهم العيوب فيها أن قناة مجاري المياه المستعملة في شوارعها ظاهرة، إلا أنها غير واسعة بمعنى

أن الشـــارع تكون فيه قناة واحدة ضيقة تنتهي إليها المياه المستعملة من البـيوت وتجـري فـي هـذه القناة حتى تنتهي إلى مستقرها في أرض منخفضـة أو في البحر لأن (جوا بوسوًا) مثل (ناتال) واقعة على شاطئ البحر الذي هو المحيط الأطلسي.

ثم وصلنا إلى حي من المنطقة ذي بيوت من طابقين ويعتبر أرقى من سابقه ولكنه ليس جيد المنظر.

ومررنا بكنيسة مكتوب عليها اسمها (سان جوزيه) ومستشفى عليه اسمه ظاهراً أيضاً (هوسبتال سان لويس).

وقـد أصبح الطريق شارعاً ذا اتجاهين إلا أن مكان الرصيف فيه هو من الطين.

في مدينة جوا بوسوا:

وقفـت الحافلـة فـي محطـة للحافلات كبيرة ولكنها دون محطة الحافلات في مدينة (ناتال) وأقل جودة.

وقد استغرقت مدة السفر ثلاث ساعات إلا ثلثاً.

علقـت حقيبتـي الخفيفة في يدي وذهبت أتجول في هذه المحطة الغريـبة علـيّ لأملأ عيني مما فيها، ولأبحث عن مكتب لحجز الفنادق عسـى أن يخـتار لـي فندقاً أذهب إليه من دون أن أعرف أحداً أو أن يعرفني أحد بطبيعة الحال.

ووجدت مكتباً كتب عليه بالبرتغالية إنه مكتب السياحة لولاية باراييبا إلا أنـه مغلـق، ولا أدري سبب ذلك، ثم رأيت مكتباً عليه لافتة تقول: إنه لحجـز الفنادق، ولكن لا أحد فيه، وتذكرت أنني أخذت من أهل (رصيفي)

اســم فــندق كبــير في (جوابوسُوًّا) نعتوه لي بأنه فاخر واسمه (تروبتشال هوتيل برايا أي فندق ساحل المناطق الحارة أو المناطق المدارية.

ويبعد موقعه ١٥ كيلومتراً عن محطة الحافلات مع أنه في ضاحية حديثة من ضواحي المدينة واقع على ساحل البحر.

فســألت عــدداً ممن صادفتهم عن اسم فندق جيد في وسط المدينة فاتفق قولهم على أنه لا يوجد فندق جيد في وسط المدينة.

ورأيــت ســائق ســيارة أجرة مؤدب يقترب مني ويعرض عليَّ خدماتــه، فاتفقــت معــه على أن يحملني إلى ذلك الفندق الفاخر بألف (كروزادو) ويساوي ذلك نحو ثلاثة دولارات وربعاً.

كــان سائقاً لطيفاً أخذ يشرح لي كل ما أمر به عندما رأى رغبتي فــي الإطــلاع وقــد ذكر لي أن أصله هندي يريد أنه من سكان البلاد الأصلاء الذين كانوا فيها قبل وصول المستعمرين الأوروبيين.

وقــد فهمــت كثــيراً مما قاله بالبرتغالية نتيجة لاضطراري إلى استعمالها في الأيام السالفة ولكوني لا أحجم عن الاستفهام عما لم أفهمه منها ولو اقتضى الأمر مزيداً من التكرار والمراجعة.

فندق المناطق الحارة:

وصلنا الفندق الذين أسموه فندق المناطق الحارة أو ساحل المناطق الحــارة ولــيس فــيه مما في المناطق الحارة إلا ما يريده الإنسان وهو الحرارة التي تمكنه من أن يخلع ملابسه على الشاطئ ويسير من دون أن يشعر بالبرد حتى ولو كان الجو غائماً.

وإلا فإنـــه فخـــم ضخم يشغل مساحة شاسعة تكاد تكفي لحي من الأحياء فـــي الأماكـــن المـــتخلفة فقد حجزوا جانباً واسعاً من شاطئ البحر فألحقوه به ونـــثروا غـــرفه وســـط جنة خضراء تغلقها وتكاد تخفيها لولا وجود الممرات المبلطة بينها التي كتبوا عليها أسماء الأجنحة وأرقام الغرف فيها.

ومدخلـــه واسع فخم كأنه مدخل قصر ملكي كبير، وقد كتبوا على مدخلـــه أنـــه من ذوات النجوم الخمس ورأيي أنه يستحق أكثر من ذلك لكونـــه أرفـــع مســـتوى من كثير من الفنادق المصنفة من ذوات النجوم الخمس، وقد نزلت في كثير منها على مدار الكرة الأرضية.

ومع ذلك عندما وقفت عند مكتب الاستقبال الواسع الذي عليه عدد من الموظفين لم أجد منهم من يتكلم الإنكليزية فلما اطمأننت على وجود غرفة لي عندهم أعطيت السائق الودود أجرته وصرفته.

وأنزلوني في غرفة ممتازة من جناح جديد في وسط حديقة الفندق وهي هادئة أكثر من هدوء البيت الخاص لأن الحديقة الواسعة تحيط بها إلـــى مسافات بعيدة فكأنما أنت ساكن وحدك وأجرتها ٩٩٩٥ كروزادو، هكـــذا لم يكملوا الآلاف العشرة ويساوي ذلك نحو ٣٢ دولاراً أمريكياً ما أرخصـــه ولـــو كانت مثل هذه الغرفة في أوروبا وهي لا تكون لضيق الأرض عندهم لما قلت أجرتها عن ٣٠٠ دولار أمريكية في اليوم.

لـــم أطـــق صبراً على البقاء في الغرفة، فخرجت أتمشى في هذا الفندق الواسع الجميل من دون أن يعرف أحد حتى اسمي الكامل لأنهم لم يطلـــبوا الإطلاع على جوازي وإنما أعطوني بطاقة الفندق كتبتُ عليها اسمي الأخير (العبودي) ووقعت عليها من أجل أن يعرفوا توقيعي عندما آكل في مطعم الفندق أو أشرب في مشربه.

فرأيت الجزء الرئيسي من الفندق في بناء مجتمع ضخم، وليس كالأجنحة التي فيها غرفتي وقد جعلوه على هيئة غرف دائرة بصحن واسع مكشوف تتوسطه بركة فخمة للسباحة بجانبها بركتان صغيرتان إحداهما للأطفال والثانية لمن لا يحسنون العوم والسباحة في المياه العميقة من الكبار.

ويتألف من طابقين لا ثالث لهما لأن الأرض واسعة ومن أجل الهدوء وعدم الازدحام.

وفي الفندق قاعات واسعة لأنواع الرياضة وملاعب للأطفال، وأماكن قد علقوا الفرش بينها للنوم فيها وهي معلقة كما كان سكان البلاد القدماء يفعلون حيث كانوا يربطون فراش النوم بين شجرتين ليرتفع بذلك عن الأرض حتى لا تصل إليه حشراتها وهوامها ولا تزال هذه الطريقة متبعة في المناطق الاستوائية المختلفة، والقريبة منها، وقد وضعوها هنا من باب التظرف والإطلاع على شيء غريب بتجربته بالفعل.

ورأيت نزلاء الفندق من المترفين والأثرياء الذين أكثرهم من البيض وبعضهم من المتغيرين قليلاً.

وقد بالغوا في إراحة النزلاء حتى كسوا واحاته التي تلي شاطئ البحر بالزجاج الشفاف بحيث يرى نزلاء الفندق من يكونون أمامهم على شاطئ البحر أو في مياهه وهم يسبحون أو يتمددون من دون أن يشعروا بالحر لأن الفندق كله مكيف تكييفاً قوياً.

وعندما غربت الشمس خرجت أتمشى فيما والى الفندق من تلقاء البلدة فرأيت سوق حديثاً قريباً من الفندق ولكن حوانيته مغلقة، وكنت أحتاج إلى صرف بعض الدولارات لأنه ليست معي مبالغ كافية من العملة البرازيلية غير أنني لم أجد من يصرفها.

فتمشــيت حــتى وجدت مطعماً واسعاً قد أخرج موائده إلى الهواء الطلق في ميدان أمامه وذلك يغري بالجلوس لأن الجو في داخل المطعم حار ولكن الهواء في الخارج إذا هَبَّ فإنه بارد.

وكنت اشتهيت لحماً بالمرق فلما جاء العامل وهو في غاية اللطف والسماحة أخبرته أنني أريد لحماً من لحم البقر وذكرت له ذلك بالبرتغالية (كارنــي بوي) فكارني: لحم، وبوي: بقرة. ولا أريد أن يقربه شيء فيه لحــم الخــنزير ويسمون الخنزير (بورك) كالإنكليزية فذكر أنه إذا كان يمكننــي أن أتريث قليلاً فإنه سوف يطبخ لي اللحم وحدي، ليأتي به مع مرقه فيه البهارات فقلت: إنه يمكنني ذلك.

ولاحظــت إن القادميــن والآكلين في المطعم على غاية من الأدب وحســن التصــرف مــع أنه ليس من المطاعم الراقية الخاصة بالأثرياء وكــبار القوم، ثم جاء بما طلبته في إناء فيه المرق اللذيذ مع اللحم الجيد فــي صــحن كبــير معه السلطة الخضراء وكأس من عصير البرتقال الطــازج، وكــان ثمــن ذلــك كله (٩٤٠) كروزادو أي ما يعادل ثلاثة دولارات أمريكية فقط!

وهذا نهاية الرخص، فقد كانت معاملة العاملين في المطعم اللطيفة وحدها تساوي عندي هذا المبلغ.

وقــد امتلأ المطعم في الداخل والخارج مما يدل على كثرة الآكلين فــي المطــاعم في مثل هذه الليلة التي هي ليلة السبت بمعنى الليلة التي يسفر صباحها عن يوم السبت الذي هو يوم عطلة أسبوعية مع يوم الأحد في هذه البلاد.

وعندما شبعت من هذا الطعام قصدت أن أتمشى وقد كادت الساعة تبلغ العاشرة فصرت أتسكع وأتلفت فيما حولي فلم أر في هذا المكان أي مظهر من مظاهر الخلاعة ولا نساء في مظاهر غير طبيعية، والله أعلم بخفايا الأمور.

وإنما صادفت فتاتين عليهما مظاهر العوز والحاجة ذكرت إحداهما أنها خادمة في منزل إحدى الأسر وإن راتبها هو ٤ آلاف كروزادو في الشهر وهذا يساوي ١٣ دولاراً أمريكياً على وجه التقريب، وقالت الثانية: إنها (نوفا) بمعنى حديثة عهد بالزواج، وإنما من عادتهم التي عرفتهم بها أن يحدثوا الغريب بأشياء خاصة لا يفضي بها الإنسان إلا لذي ود حميم أو لصديق قديم.

ولم أر في حديثهما ولا في تصرفهما ما يدل على ريبة، ولم يطلبا صدقة أو إحساناً فالبرازيليون بعيدون عن مثل هذه الأمور في العادة.

يوم السبت ١٠/١٢/١٤٠٨هـ - ٢٣/٧/١٩٨٨م

كان صباح هذا اليوم بهيجاً فرغم كثافة الحديقة تسللت خيوط فضية من أشعة الشمس المشرقة إلى الغرفة في تطفل جميل، وبإطلالة من النافذة على حديقة الفندق كان المنظر رائعاً إذْ كان كل شيء هادئاً حتى فروع النارجيل التي كانت تميل مع كل نسمة ريح هي ساكنة ساجية كأنما هي في لحظة تأمل أو تعبّد (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) توشحها زهور مختلفة الألوان لا يجمع بينها إلا الجمال الفتان في هذا المكان الوسنان.

ولا تسمع صوتاً أو ترى حركة إلا زقزقة عصافير بعيدة أو خفقة من جناحي طائر جذلان.

ونزلــت من غرفتي الواقعة في الطابق الثاني فاخترقت الحديقة الريانة، إلـــى مطعم الفندق الواسع الفخم فكان طعام الإفطار الفاخر في الانتظار، فكان أعجــب مـــا فـــيه أن الفاكهـــة معروضـــة أمامك أنواعاً منوعة فيها الفراولة والـــباباي والأناناس الطازج، وقل ما شئت عن الأجبان والألبان وشرائح اللحم والسمك وطبخات البيض المتنوعة.

وكـــل ذلـــك بالمجان لا يتقاضون عنه ثمناً لأنه- فيما يزعمون- داخلة قيمته في أجرة الفندق التي لا تصل إلى ثلاثة وثلاثين دولاراً.

والأكلـــة على هذه الموائد مؤدبون مهذبون وهم الأوروبيون الذين زايلهـــم الكبر والعنجهية والظهور بمظهر الفوقية ولم يزايلهم الأدب في المعاملـــة واللـــباقة تجاه الآخرين، ولك أن تقول فيهم إذا رأيت أحوالهم وأفعـــالهم الظاهـــرة: إنهم أوروبيون تعربوا، وذلك ما داموا ساكتين فإذا نطقوا عرفت أنهم العجم الذي تقلبوا في عجمتهم أو تقلب الدهر بهم.

وقارنت بين هذه البلاد وأهلها وبين بلاد أخرى وفنادقها ومن ذلك بـــلاد الهند التي لا تجد في مثل أجرة هذا الفندق فندقاً تستطيع أن تسكن فيه، فتضطر إلى أن تزيد الأجرة وتزيد حتى يتضاعف المبلغ ومع ذلك يطلبون المزيد ولكن لا يعرفون المجاملة في المعاملة وربما يعتقدون أن إكـــرام الضيف إن أرادوا إكرامه في إكراهه على أن يأكل ما يقدمون له من طعام، لا يريده مع معاملة لا تفيده.

ويضيفون إلى ذلك ثقل الظل في كل شيء حتى في مفاتيح الغرف حيث تكون ثقيلة الحمل، قبيحة الشكل، يزعمون أنهم يجعلونها كذلك لكيلا يضعها النزيل في جيبه فينساها أو يتناساها.

مثل برازيلي في المعاملة:

ربما يكون قد علق في ذهنك ما ذكرته من حسن معاملة البرازيليين للغريب، وسهولة معاملتهم على وجه العموم، وقد صادفت اليوم مثلاً على ذلك وهو أن الدولار الأمريكي يرتفع سعره، بالنسبة إلى العملة البرازيلية المسماة الآن (الكروزادو) فتسعر الحكومة الكروزادو بالنسبة للدولار في أول الشهر ولكنه يظل يرتفع كل يوم حتى نهاية الشهر غير أن الأسعار المحددة كأجور الفنادق وغيرها وكسعر الدولار الذي يعادل به رسمياً تبقى على ما كانت عليه أول الشهر، من ذلك أن الفندق الذي كنت أسكن فيه في رصيفي كانت أجرة الغرفة في الليلة تساوي أول ما سكنته ٣٣ دولاراً، أما الآن فإنها لا تساوي بالدولار إلا أقل من ذلك بالثلث أو الربع، لأن سعرها ثابت طول الشهر بالكروزادو، الذي ينقص صرفه بالنسبة إلى الدولار يوماً فيوماً.

وقد صرفت الدولار أخر مرة بـ ٣١٠ كروزادوات ولكنه الآن حسبما أخبروني يساوي ٣٢٠، وقد حاولت في صباح هذا اليوم أن أجد من التجار من يصرفه لي فكانت المحلات التجارية مغلقة لكون اليوم السبت عطلة أسبوعية ومثله يوم غد الأحد.

وسألت الفندق عن صرف الدولار فذكروا أنه ٢٦٥ كروزادو، ولا يمكنني أن أرضى بهذا الغبن، لذلك ذهبت إلى إدارة فندق (تروبكال) الذي أسكن فيه وطلبت أن يحضروا من يتكلم الإنكليزية وهو الوحيد فيها وهو كاتب عندهم فأحضروه فأخبرته بالأمر، فذهب بي إلى مدير الفندق، فقلت له: إن صرف الدولار الآن بالسعر الموجود في الفندق ناقص ولا يمكن أن أرضى به، فقال: هذا صحيح، ونحن لا نريد أن نصرف لك صرفاً ناقصاً ولكن هذا هو الصرف الرسمي، فقلت: إنني أريد أن أذهب

اليوم مع جولة سياحية في المدينة وليست معي (كروزاوات) أستطيع أن أدفعهـــا لأهـــل الجولـــة ولا يمكنني الانتظار حتى يفتح أهل السوق يوم الاثنين فهل يمكن أن تضمنوا لشركة الجولة السياحية المبلغ الذي يريدونه مني إلى يوم الاثنين عندما أصرف الدولار بالسعر الزائد المعتاد؟

فقـــال المدير: بل يمكننا أن ندفع المبلغ للجولة ونقيده على حسابك في الفندق، وإذا أردت المغادرة دفعته مع حساب الغرفة.

فعجبـــت من هذا الذي لا يمكن أن يقدمه فندق فضلاً عن أن يرضى به أي فـــندق فـــي الـــبلاد المتخلفة ولا البلاد المتقدمة حيث يطلبون في الولايات المتحدة مثلاً أن يدفع النزيل أجرة الغرفة مقدماً قبل أن يعطوه المفتاح.

أما في بلاد كنيجيريا فإنهم لابد أن يتسلموا منك أجرة الغرفة مقدمة ومعها مثلها للتأمين وإلا لما أعطوك مفتاح الغرفة!

فشـــكرت المدير على ذلك، وقلت له: إنني أستطيع أن أودع خزانة فـــندقكم مبلغاً من المال بالدولارات على هيئة تأمين لهذا المبلغ وغيره، فقال: لا يحتاج الأمر إلى ذلك.

فقلـــت له: إنني أرجو إذاً أن تبحثوا عمن يتكلم الإنكليزية مع أهل الجولة السياحية.

فأمر المدير موظفاً عنده أن يتصل بمن يسيرون الجولات السياحية وهم قلة فذكر أنه لا تقوم اليوم من عندهم جولة عامة للسياحة.

ثـــم بحث المدير بنفسه، وقال: لقد اهتدينا إلى طريقة وحيدة لقيامك بالجولة اليوم وهي أن ترسل الشركة سيارة خاصة ويكون معك فيها هذا (الســـنيور) يـــريد بذلـــك الكاتب الذي يحسن الإنكليزية، فنحن سنأذن له ونحدد له الأجرة المناسبة. وهكذا كان.

جولة في مدينة جُوابُسوًّا:

لابــد أولاً من ضبط اسمها فهو صعب إذْ يلفظون به بضم الجيم والواو مع تشديدها وفتحها في (جُوَّ) وبُسِوًّا بضم الباء وكسر السين وتشديد الواو المفتوحة.

وهــذا الاسم الغريب: اسم مستحدث للمدينة إذ سميت به على اسم زعيم وطني مصلح برازيلي مشهور قتل في هذه المدينة في عام ١٩٣٠م واسمه الكامل (جُوَّ بُسِوًّا آوميا سيوفا).

وكان اسمها قبل ذلك (فيلي بايا) وهو اسم هندي أمريكي بمعنى أنه مــن تســمية الســكان الأصليين أهل البلاد الذين كانوا فيها قبل وصول المكتشفين الأوروبيين، وهي عاصمة ولاية (برايبا) وقد ابتدأت العمارة الحديثة فيها عام ١٥٨٥م، وهذا هو تاريخ وصول البرتغاليين إليها.

تاريخ جو بُسوًّا:

قال الأستاذ راجي باسل في كتابه الأثيل:

(جــوا بسُــوًّا) عاصمة ولاية برايبا دو نورتي كانت قديماً مدينة لأبناء قبيلة (طباجارس) من سكان البرازيل الأصليين- فحل فيها في آب ١٥٨٥ الكابــتون (جــون تفارس) – البرتغالي- على رأس جيش جرار وأذاع علــى جمــيع الأنحــاء أنه يريد إقامة عهد صداقة مع (بيرجيبي) رئيس القبيلة صاحبة ذلك الإقليم.

ومــا طــال العهــد حتى بدأت المذابح الفظيعة لاستئصال الشعب البرازيلــي الأصيل، وعند ذلك بنى هناك البرتغاليون الكنائس والحصون والســجون وســموا المديــنة (فيبيه). ومنها توغلوا في الداخلية، فذبحوا الألوف، واحتلوا الأرض، وسلبوا النساء والصبايا.

وفـــي ٢٤ كـــانون الأول عـــام ١٦٢٤م احـــتلها الهولنديون فسموها (فرديكستد) بعد أن دمرها البرتغاليون، ولم يتركوا فيها حجراً على حجر.

وفـــي عـــام ١٦٤٦م استعاد البرتغاليون تلك المنطقة، ودعيت فيما بعد (برايبـــبا دو نورتي) إلى عام ١٩٣٠ حين أطلق عليها اسم (جوون بسوا) الذي قتلته يد مجرم مدفوع من أعداء سياسيين كما شاع حينذاك انتهى كلامه.



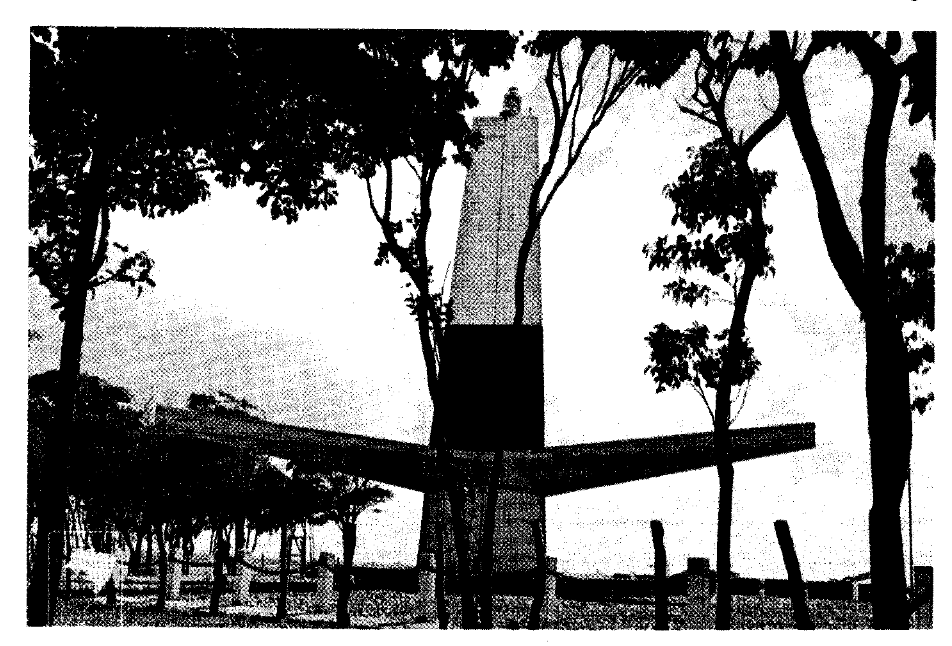
شارع ترفرف عليه الأشجار في جوابسيوا

وكان رفيقا الجولة السياحية المترجم للإنكليزية وهو شاب برازيلي بهـــذا المعنى الاصطلاحي الذي صار مفهومه أنه أوروبي الأصل متغير اللون بسبب الطقس، أولاء ختلاط غير بعيد عن أصله، واسمه: (أودابي) ذكر أنه من اصل برتغالي غير أنه أصبح (مارينا) على حد تعبيره بسبب الشـــمس ومعنى مارينا بلغتهم أسمر، وهو بالفعل أسمر، إذا رأيته على البعد لا

تشـــك في أنه من أهل نجد غير أنك ما أن تحد البصر في وجهه حتى تعرف أن نظرك قد خدعك فتقاسيم وجهه وتقاطيع جسمه غير عربية.

والثانـــي هو السائق وهو هندي الأصل أي من السكان الأمريكيين الأصـــلاء غير أنه يذكر أن في أجداده أحداً أوروبياً لذلك لم يكن مظهره منظر الهندي الأمريكي الأصيل.

الرأس الأبيض:



نصب في الرأس الأبيض في جوابسوّا

ســـارت الســـيارة وهي حافلة سياحية مخصصة لنقل بضعة عشر شخصـــاً ولكن ليس فيها غيري وغيرهما، وسلكت طريق الشاطئ المحاذي لســـاحل البحر، حتى صعدت تلا على رأس داخل قليلاً في البحر فوقفت فيه ويسمونه (كابو برانكو) بمعنى الرأس الأبيض لأن كابو: رأس بمعنى نتوء أرضي داخل في البحر، وبرانكو: أبيض، وقد أقاموا عليه نصباً تذكارياً.

وقفنا على رأس الرأس الأبيض الذي لم نر من بياضه شيئاً فما ثمة إلا خضــرة الــبحر القريبة وزرقته البعيدة، وما يرى المرء إلا السمرة دون السواد في أكثر أهل البلدة.

أصول سكان جوابسوًّا:

الــتقط الدلــيل صورة لي مع السائق الهندي الذي أحد أجداده من البيض كما يقول، وتحدثت معهما عن سكان ولاية بارايبا التي عاصمتها (جوَابُسوًّا) هذه.

فكانــت خلاصـــة ما ذكراه أن ٤٠./. من السكان هم من البيض المتغيريــن أي أنهم من الأوروبيين الذين عمادهم من الجنوبيين- سكان أوروبا الجنوبية الذين يسمون اللاتينيين، نسبة إلى لغاتهم التي ترجع إلى اللغة اللاتينية وليس إلى أصول أنسابهم.

ولكـــنهم تغيروا الآن بحيث إذا رأيت الشخص منهم لا تظنه – من جهة اللون- إلا من العرب الجنوبيين، أو من شمال السودان، أومن أهل الهـــند الآســـيوية، وهـــذا بســـبب الطقس، كما أنهم تغيروا أيضاً بسبب الاختلاط بالأقوام الآخرين كالهنود الأمريكيين والسود.

وهـــؤلاء مع بعض البيض الذين يسكنون في جنوب البرازيل ولم تتغـــير ألوانهـــم لكـــون الجـــنوب بعيداً عن خط الاستواء هم الأنموذج للبرازيلي الغالب في هذه البلاد الواسعة.

فيؤلف البيض الذين لا يزالون يحتفظون بمظاهرهم المتميزة ما عدا اللون فقد صار أقل نصاعة وأكثر قرباً من الألوان العربية يؤلفون ٤٠./. ونوه الدليل بأنهم بيض (مارِيناس) أي سمر.

وهناك ٢٠./. من السود، وهناك المختلطون الذين يؤلفـون ٤٠./. أو نحو من ذلك.



المؤلف مع الدليل والمترجم عن نصب الرأس الأبيض في جوّابسوّا

أمـا السكان الأصلاء الذين يسميهم الناس بالهنود: هنود البرازيل فإن أكثرهم قد ذاب في هذه الألوان أو فر إلى داخل القارة إلى حيث يقل الاختلاط، ويكثر بنو جلدته من الهنود الأمريكيين الأصلاء.

ويبلغ عدد سكان (جوابُسوّا) ستمائة وخمسين ألف نسمة.

منزل الأديب:

قصـــدت الحافلـــة مـــنزلاً ذهبت إليه قصداً وليس لكونه على الطريق ونـــوه الدليل بأنه منزل أديب من أهل هذه المدينة اسمه (جوزيه أمريكو دي امـــيدا) وأنه مؤلف وكاتب تفخر به هذه المدينة لذلك كرموه وحولوا منزله إلى متحف يزوره السياح وزوار المدينة، وذكر أنه مات قبل ٤٠سنة.

وعجبـــت مـــن احتفائهم بالشخصيات المتميزة من أهل البلاد حتى الكاتب المؤلف قد احتفوا به واعتنوا بمنزله الذي حولوه إلى متحف يضم مخلفاته، وأصول مؤلفاته، وغير ذلك مما لا يتسع الوقت بنا لذكره.

أين العرب والمسلمون؟

إقامتـــنا محـــدودة هنا وكنت طلبت من الإخوة المسلمين من أهل سان باولو وريـــودي جانـــيرو وغيرهما أن يذكروا أسماء الشخصيات المسلمة أو العربية في شرق البرازيل الشمالي الذي أنوي الذهاب إليه، فلم يعرفوا أحداً فيها.

ونفوا أن تكون هناك أية جمعية إسلامية أو أي شخص مسلم معروف.

ومع ذلك فإنه من الصعب الجزم بعدم وجود أي مسلم أو عربي إلا بعـــد البحـــث والاستقصـــاء فـــربما كان شخص أو شخصان من سكان (جوابسوا) البالغ عددهم ستمائة وخمسين ألف نسمة، لأن المدن البرازيلية الكبـــيرة فيها ألوف بل عشرات الألوف من العرب المسلمين وقلما يوجد العرب في مكان حتى ولو كانوا قلة عددية قليلة بل ضئيلة إلا وصاروا معروفيـــن عند البرازيليين لكونهم يتميزون بميزات معروفة من التجارة الواسعة أو الضيقة إلى شغل الوظائف المهمة التي تتطلب مهارة كبيرة، وقـــد رأيـــت في المدن البرازيلية أن الجيل الأول من المهاجرين العرب

تميزوا بنبوغهم في التجارة، أما أبناؤهم فقد تميزوا بالحصول على الشهادات الراقية وشغل الوظائف العليا في الإدارة.

وانتهزت فرصة الحديث عن سكان هذه المدينة فسألت الدليل والسائق أيضاً عن العرب والمسلمين فيها، فأجابا بأنهما لا يعرفان أي عربي أو مسلم في المدينة.

إلا أن الدليل استدرك فقال: إنه سمع أن في المدينة بعض العرب الفلسطينيين ولكنه لا يعرفهم، فطلبت منه أن يدلني على واحد منهم من أجل أن أسأله عما أريد فذكر أنه لا يعرف منهم أحداً، ولا يعرف عنوان أي عربي.

وهذا يدل على أنه لا وجود ظاهراً للعرب هنا.

ومن باب المقارنة فإن البرتغاليين الذين كان لهم فضل اكتشاف هذه البلاد ثم كان لهم استعمارها لا يوجد منهم أحد في المدينة ما عدا شخصاً أو شخصين، هكذا قال الدليل الذي هو برتغالي في اصله البعيد كما يقول.

والمراد بذلك البرتغاليون الأنقياء فهم الذين لا يوجد منهم أحد، وأما من كانت أصولهم برتغالية فإنهم موجودون ولكنهم ليسوا أنقياء فلا يستطيع الشخص منهم أن يقول إنه برتغالي لأن نسبه مختلط ليس بمن يماثلونه في اللون فقط، وإنما بالسود والهنود حتى أصبح من الناحية الواقعية من (المولاتو) وهم المختلطون كما سبق.

أقرب نقطة إلى إفريقيا:

تركنا الحديث عن العنصر والأصل وما يتفرع عنهما من لون أو مظهر ولكن ذلك لم يتركنا فقد وقفنا على رأس من البر داخل في البحر مرتفع قليلاً أيضاً ويسمونه رأس (بونتا دوتشيت) ومعنى تشيت: الحصى الصغار، فهو إذاً

نقطة الحصى الصغير، والصغير صفة للحصى وليس للموضع.

نوهــوا بأن هذا المكان هو أقرب نقطة من البر الأمريكي الجنوبي إلى القارة الإفريقية، أي أنه أقرب أرض يابسة في قارة أمريكا الجنوبية إلـــى قـــارة إفريقية، ولذلك اشتهر بأن باعة الرقيق الإفريقي وكلهم من الأوروبييـــن كانوا يأتون إلى هذا المكان من أجل بيع العبيد فيه، ومنه أو من منطقته يرسلون إلى أماكن أخرى من هذه المنطقة الشمالية الشرقية.

وليس معنى هذا أن جميع العبيد المجلوبين أو المنهوبين من ديارهم في إفريقيا يؤتى بهم إلى هذا المكان.

وقـــد أقاموا فيه نصباً تذكارياً وأنموذجين للأكواخ الإفريقية، ربما كان ذلك لكون هذا الرأس هو أقرب أرض أمريكية جنوبية إلى إفريقيا، وتذكاراً للإفريقيين العبيد الذي جلبوا قسراً إلى هذه البلاد.

الشجرة العجيبة:

كانـــت الوقفـــة التالية عند الأماكن التي تستحق الوقوف والمشاهدة وقفة عند شجرة اسمها عندهم (اوتي سي) وهي شجرة عجيبة حقاً لم أر لهـــا مثـــيلاً فيما رأيته من أشجار العالم وإن لم أدع المعرفة بكل أشجار العالم، وذلك أن أصل هذه الشجرة واحد، وهذا طبيعي في كل شجرة غير أنهـــا تتفرق بعد ذلك لتكون أكثر من جذع واحد أو ساق واحدة، ولكنها تقترن بعد ذلك مرة أخرى لتكون شجرة واحدة ذات أصل واحد فكان هذا الأصـــل الفرعي- إن صح التعبير- صار أصلاً للشجرة وهو في الجو والمعروف لنا أن أصل الشجرة يكون في الأرض ثم تتفرع بعد خروجها من الأرض.



حديقة في جوابسوًا

وتقع هذه الشجرة وسط غاية من الأشجار حولوها إلى حديقة ذات مقهاة ومقصف يرتادها الأغنياء المتنزهون من أهل البلاد.

ومــن الطريف في مقهاة هذه الغابة ومقصفها أنهم رسموا على حيطانها صــوراً هزلــية لرئــيس جمهورية البرازيل ولغيره من الشخصيات السياسية والاجتماعية الكبيرة، وذلك لجو الحرية السياسية الذي تعيش فيه البلاد.

وفــي هــذه الغابة ركن فيه متجر ضخم للسياح والأثرياء لأنه من الأماكــن المــرتادة للسياح ومن البضائع فيه أساور للسكان الأمريكيين الأصلاء وللأفارقة الدخلاء أي بعد أن تأمركوا، ولذلك رأينا فيه قلائد من العظام، وقد عرضوا فيه أنواعاً متنوعة من الأحجار نصف الكريمة التي تزخر بها أرض البرازيل، وفيه نماذج من الصناعات اليدوية المحلية.

نصب بسوًّا سونها:

أقاموا نصباً كبيراً كتبوا عليه جملة: (بُسوا دو سونها) بمعنى حلم بُسوًّا.

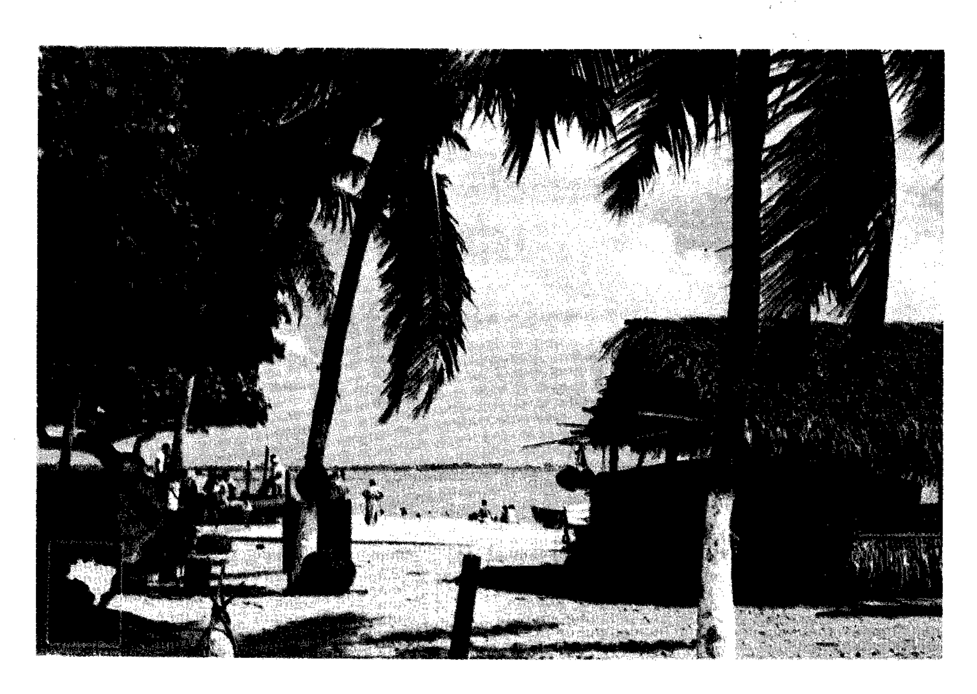
ذكر الدليل إنه أقيم قبل خمس سنين.

وعلى ذكر جرى لاسم هذه الولاية (بارايبيا) الذي أضيفت إليه هذه الولاية سألتهم عن معناه فذكروا إنه اسم هندي قديم أي أنه من لغة سكان البلاد الأصلاء، فسألت السائق وهو- فيما يقول- منهم فذكر أنه لا يعرف معناه وقال: اللغة التي منها هذا الاسم قد ماتت منذ دهر ولم يعد بعرفها أحد.

إلا أن الذي يعرفونه أن هذا الاسم هو على اسم نهر (بارايبيا) الذي يقع على بعد نحو عشرة كيلات من قلب المدينة.

على شاطئ البحر:

عدنا مع شارع الشاطئ لنري جزءاً منه لم نره من قبل، وهو شارع جميل أو شاطئ رملي ناعم على هيئة هلال ترفرف عليه أشجار النارجيل الريانة ولكنه ضيق دون شارع الشاطئ في ربو دو جانيرو، بكثير وهو دون شارع الشاطئ في رصيفي سعة وجمالاً، إلا أن الجامع بين هذه الشواطئ البرازيلية هو كونها رملية جميلة يستطيع المرء السير عليها بدون حذاء، بل يستطيع أن يسير على أطراف الرمل التي تغسلها أمواج المحيط فيحس بأنها تهرب من بين قدميه وأصابع رجليه إلى البحر ثم تعود مرة أخرى إليها مع عودة الأمواج.



شاطئ جوابسوًّا على المحيط الأطلسي

وشارع الشاطئ هذا ممتد في استطالة جيدة تقع عليه من جهة الغرب التي هي جهة اليابسة دارات (فيلات) جيدة المظهر، ومن جهة اليسار التي هي جهة البحر أشجار النارجيل الوارفة الظلال نابتة نامية في رمال الشاطئ التي يخيل إليك أنها لا تنمو فيها شجرة لقربها من البحر وملوحة أرضه، إلا أن كثرة الأمطار تغسل هذه الملوحة وشيء من خصائص النارجيل يجعلها تفضل أن تنمو قريبة من رطوبة البحر.

ولاحظت أن الناس هنا بسطاء أو هكذا بدوا لي مثل أكثر أهل البرازيل فعلى سبيل المثال إذا سألت أحداً منهم عن شيء فإنه يبادر بالجواب موضحاً لك ما طلبته منه من دون أن يتمهل ليسأل نفسه عن الداعي إلى ذلك السؤال وماذا كان ينبغي له أن يجيبك عليه، أو أن يتجاهل

السؤال- مثلاً- أو أن يجيبك بغير الحقيقة كما تفعل بعض الشعوب السمراء.

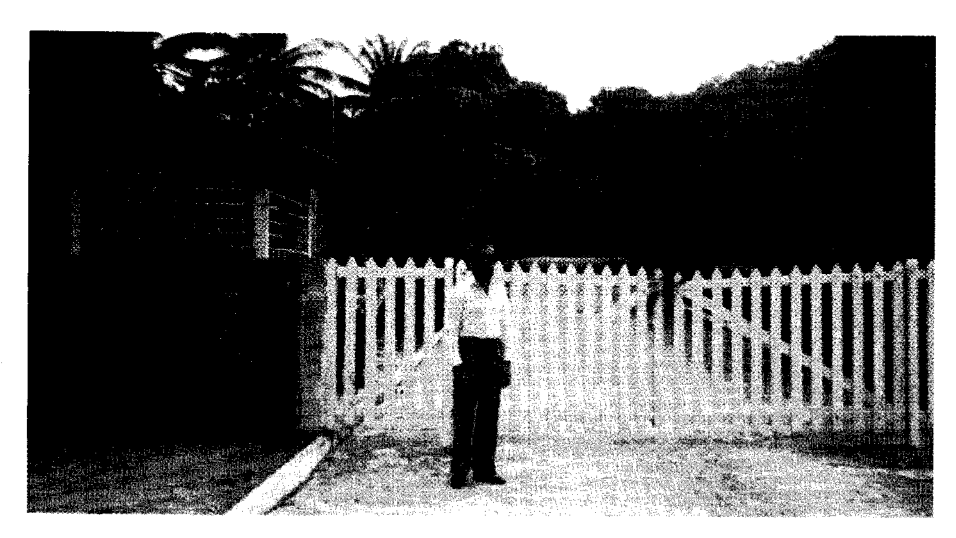
وقد حفلت ظلال النارجيل التي ترفرف على شاطئ البحر بالسابحين الذين كانوا يتقون بها أشعة الشمس الحارة لأن المدينة قريبة من خط الاستواء؛ والوقت وقت ارتفاع الشمس.

وقد سارع الدليل ليسألني قائلاً: أأعجبتك البرازيل؟ مع أنني أعرف منها أكثر مما يعرفه لأنني زرت ولايات ومدناً منهاذكر لي أنه لم يزرها أي أحد يعرفه وبخاصة ولايات الغرب والجنوب فقلت له: نعم، لقد أعجبتني البرازيل وأعجبني أكثر من ذلك حسن المعاملة التي يعامل بها البرازيليون الغريب القادم إليهم.

لقد سألني ذلك السؤال ونحن نمر بالشاطئ الرملي الذي يغص بالسائحين المستمرخين فوق رماله انطلاقاً من ولع البرازليين إينما كانوا بالبحر ورماله والاسترخاء عليه.

مقر حاكم الولاية:

تركنا شارع الشاطئ وسرنا مع شارع الكاتب الأديب الذي أشرنا إليه فيما سبق وهو (أمريكو الميدا) وزاد الدليل في تعريفه بأنه اشتهر أول الأمر بكتابته عما يعانيه عمال مزارع السكر الذين يعملون عملاً شاقاً لا يلقون عليه المكافأة الواجبة.



أمام بوابة قصر الحاكم في جوابسوّا

ووقفـــنا فـــي هذا الشارع على مقر حاكم ولاية (بارييبا) هذه، وقد التقطت صورة لمقر الحاكم بعد أن وقفت في عدة مواقف أتخير الزاوية المناســبة للالــتقاط وكـــان علـــى بابه حارس خفت من أن يمنعني من التصوير غير أنه ما أن رآني صورته حتى ابتسم لي وأدى التحية!

أرأيــت هذه المعاملة البرازيلية الفاضلة ولك أن تسأل نفسك ما لو كـــان مقـــر هذا الحاكم مقراً لأحد حكام البلدان الشرقية التي ريما كانت معـــروفة لـــك، فجاء غريب أو قريب يحوم حول واجهته ويتخير زاوية يصوره منها، وماذا سيفعل به حراس المقر.

لاشك في أنهم لن يبتسموا له ولن يؤدوا له التحية وإنما سيكون رد فعلهم رداً لا يسره وربما أكرهه على ألا يحاول أن يصور مقر حاكم قط في أي مكان من العالم.

حي شعبي:

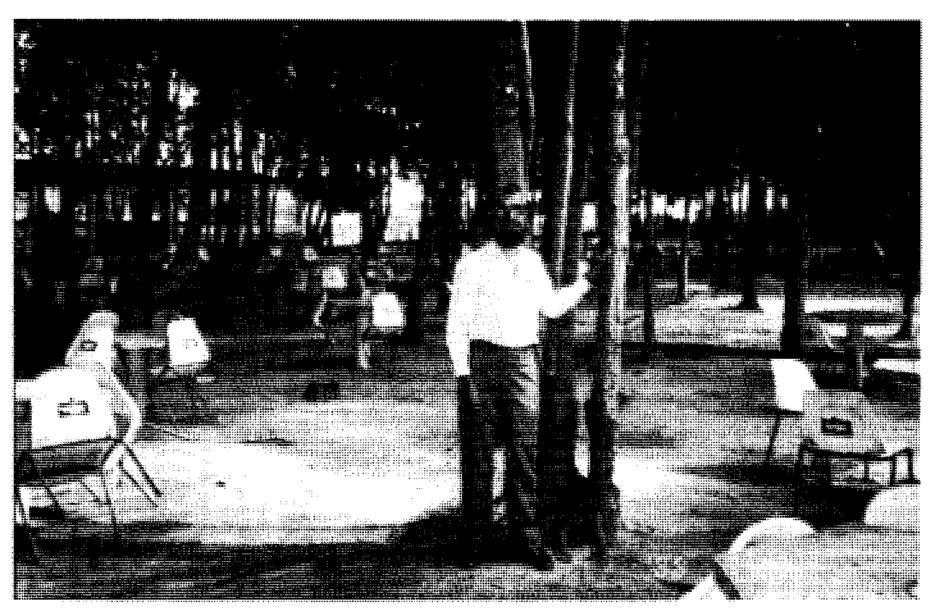
وقعنا بعد مفارقة مقر حاكم الولاية في حي شعبي أردت أن أصوره فمنعني رذاذ من غيم غير مطبق، ويقع هذا الحي على مكان مرتفع معظم بـــيوته من الطين على طراز قديم، وبعض بيوته من لبن الأسمنت وهي

أســـوأ منظراً وأقل جمالاً من بيوت الطين التي كثيراً ما تكون أساساتها مـــن الحجـــارة، ورأيـــت نهيراً هنا سألت الدليل عنه فذكر أنه غير مهم وربما كان شعبة من نهر بارايبيا ولكنه لم يذكره.

المتعة الجانبية:

لـــيس الغريب من أحوال هذا الشعب البرازيلي الحسن المعاملة أن يكون كذلك مـــع الغريـــب، وإنما الغريب أيضاً ما يكون لأهل البلد، فقد مررنا بمكان ضخم أشبه مـــا يكون بمحلات المعارض الكبيرة اسمه (اسباسو كوتوراد لين دو هيقو) ذكروا أن (جوزيـــه....) بناه للحكومة ولا أدري من جوزيه هذا، ولكن المكان هو لقضاء وقت طيب بالمجان أي من دون أن يدفع من يقضي الوقت فيه شيئاً من المال.

ومن أهم ما فيه الاستماع إلى الموسيقى وألوان عرض ثقافي وحلبة للعروض الرياضية لها مدارج يمكن الجلوس فيها ومشاهدة تلك العروض الرياضية بالمجان.



المؤلف في منتزه (دو اهيقو) في جوابسوًّا

وفيه معارض للدول الأجنبية كل دولة تعرض ما تود عرضه مما لديها سواء أكان العرض لغرض تجاري أو لغرض ثقافي، حتى الاتحاد السوفيتي له معرض فيه.

وقـــد رسموا أعلام الدول وكتبوا أسماءها على حائط المكان بشكل بارز، وهناك مطاعم تقدم أطعمة تلك الدول بالثمن- بطبيعة الحال- وقد رأيـــت علم دولة اليهود في فلسطين واسمها على المكان ولم أر فيه أي ذكر لأية دولة عربية.

ويعجـــب المـــرء من عدم وجود أية دولة عربية هنا، مع أن عدد السفارات العربية في البرازيل كبير نسبياً، ولاشك أن ذلك سببه الكســـل أو التكاســـل أو الإهمـــال وإلا فإن النفقة على مثل هذا المعرض ليست كبـــيرة وهـــي تعـــرف أهل هذه البلاد النائية من البرازيل بثقافة الدولة العارضة، وبأحوالها العامة.

ومن أعجب ما فيه (قبة البرازيل) وهي قبة واسعة عالية أرادوا بها أن تكون رمزاً لهذا المكان.

وتظلل الشارع الذي يقع عليه هذا المعرض أشجار النيم المعروفة في بلادنا وهي أيضاً من الأشجار التي تفضل البلاد غير البعيدة من خط الاستواء وإن كانت تعيش في بلاد تبعد عن الخط بعداً نسبياً مثل المنطقة الغربية من بلادنا.

أطول شارع في المدينة:

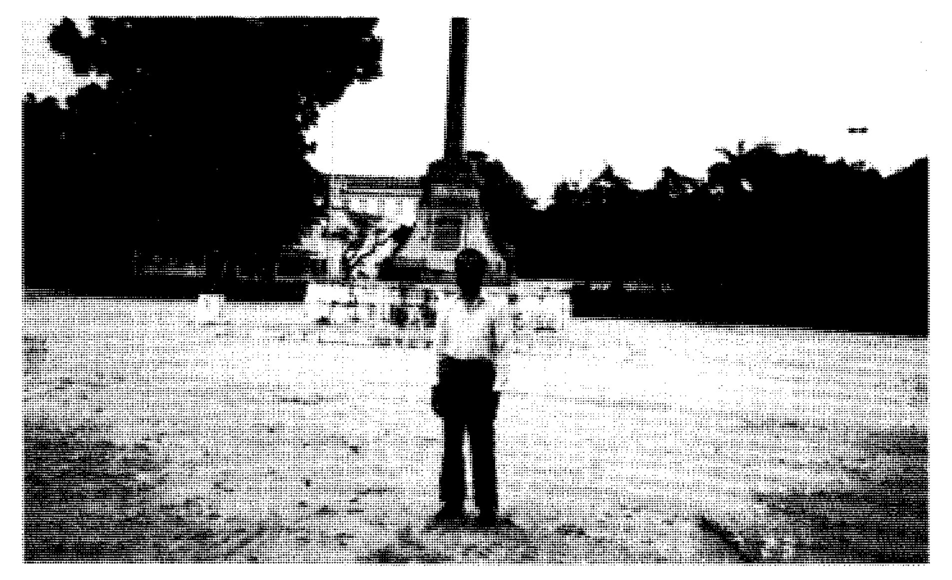
ســـلكنا شارع (أيبنا بُسوًّا) أطول شارع في المدينة ويبلغ طوله ٩ كيلات وهـــو ذو اتجاهيـــن تفصـــل بينهما جزيرة مبلطة ببلاط قد تكسر وساء منظره

وينبت العشب الطفيلي في أجزاء منه دون بقية الأجزاء.

وعرضه نحو ٢٤ متراً، وعليه منازل متوسطة إلا أننا وصلنا إلى منطقة واقعة عليه فيها منازل لقادة الجيش.

ولم ألاحظ كثرة من المشاة في الشوارع هذا اليوم وعلل الدليل ذلك يكون اليوم هو يوم السبت الذي هو اليوم الأول من يومي العطلة الأسبوعية.

ميدان الاستقلال:



المؤلف في ميدان حديث في جوابسوًا

وقف الدليل بالسيارة في ميدان اسمه (براسادا اندباندداسيا) بمعنى ميدان الاستقلال فكلمة (براسا) تعني ميداناً أو ساحة و(دا) أداة تربط المضاف بالمضاف إليه و(اندبندانسيا): الاستقلال وهي هي الكلمة الإنكليزية (اندبندانس) لهذا المعنى.

وهذا الميدان فيه جزء مزروع بالثيل وهو الذي تسميه العامة في مصر (النجيل) وبأشجار من أشجار (الأنبه) وهو المانجو.

ولم أجد في (ميدان الاستقلال) هذا ما يستحق الإطالة بالوقوف مع العلم بأن استقلال البرازيل كان في وقت مبكر بالنسبة إلى وقتِ الاستقلال في الدول الإفريقية والآسيوية، فقد استقلت البرازيل أول القرن التاسع عشر.

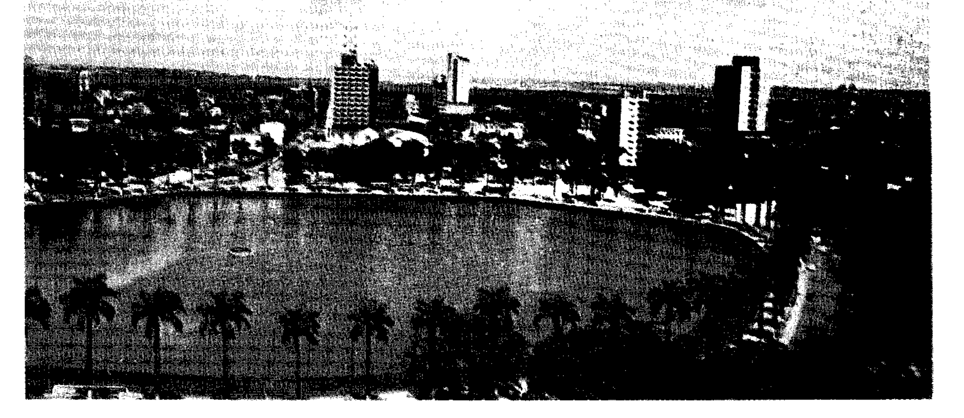
وفيه شجر ذكر الدليل أن اسمه (بوتي رانا) ولا أعرفه- ولعلها تسمية قديمة في هذه البلاد لا نعرف أنه يوجد عندنا في البلاد القريبة من بلادنا.

ومررنا بمدرسة اسمها (ليسوبرايبيا) نوه الدليل بأنها أقدم مدرسة في المدينة ولم يذكر تاريخ إنشائها.

بحيرة باختي:

وصلنا وسط المدينة فرأينا فيه بحيرة اسمها (باختي لاقو) بمعنى بحيرة باختي. وهذه البحيرة ليست واسعة ولكنها واقعة في وسط المدينة الذي يكون في العادة ضيقاً كثيباً بالنسبة إلى الأحياء الجديدة الواسعة إلا أنهم حافظوا هنا على هذه البحيرة، بل إنهم نسقوا شاطئها وغرسوا عليه أشجاراً سامقة دقيقة السوق تشبه شجر (التار) الذي نعرفه في الهند وجنوب شرقي آسيا، ذكروا أن اسم هذه الشجرة (باوميدا) وأنها أحضرت من البرتغال بمعنى أن البرتغاليين أحضروها وهي نحو ستين شجرة محيطة بالبحيرة في تنسيق جميل.

وزادوا على ذلك بأن أنشأوا حدائق على ضفة هذه البحيرة زادت من جمال وسط المدينة ومن إظهار طبيعة البحيرة حتى صار من يقف في شاطئها يخيل إليه أنه في حديقة منسقة وليس وسط مدينة تعد أكثر من ستمائة ألف نسمة من السكان.



البحيرة في وسط مدينة جوابسوًا

وقــد رأيت جمهوراً من السكان في هذا المكان فلم أجد بينهم سوداً إلا اثنين أو ثلاثة فسألت الدليل عما سبق أن ذكره لي من كون نسبة السود هنا هــي ٢٠./. فأجاب: إن عدد ذوي اللون الأسود في ولاية (بارييبا كلها هو ٢٠./. وأما في عاصمة الولاية هذه فإن نسبتهم أقل من ذلك.

ولاحظت أن أغلب السكان هم من (المولاتو) يعني المختلطين ومن البيض المتغيرين الذين تشبه ألوانهم العرب الشماليين.

ميدان جُوًّا بُسِوًا:

وهــو الزعيم الذي ذكروا أنه مصلح وأنه قتل في هذه المدينة عام ١٩٣٠م فسميت باسمه.

وهــو مــيدان قديم ذكروا أنه يرقى إلى نحو أربعمائة سنة من التاريخ فهــو يقع في الوسط القديم من المدينة ولكن الأبنية التي عليه مجددة أي ليست قديمة وهي أبنية مهمة منها مكتب رئاسة الحكومة، ومكتب الحاكم للولاية.

وليست أهمية هذا الميدان في سعته فهو غير واسع ولكن في كونه تاريخياً تقع عليه مكاتب مهمة.

مــن المواقــف الطريفة التي وقعت لي فيه أنني كنت أسير فيه أستجلي أنحــاءه وأسير في جوانبه، وإذا بي أرى فتاتين تنظران إليّ، ولم يسترعي ذلك

كبـير انتـباه مني لأنني لاحظت قبل ذلك أن كثيراً من البرازيليين من رجال ونســاء ينظرون إليّ وأنا أحاول تصوير منظر جيد أو استجلي مكاناً معيناً إلا أن أدبهم في المعاملة يمنعهم من التطفل والتدخل فيما هومن شأني.

وقـد وقفـت عند نصب في هذا الميدان قد كتبوا عليه اسم الزعيم (جوابسـوا) الـذي يسـمى باسمه، وأعطيت الدليل المصوِّرة ليلتقط لي صـورة تذكاريـة عنده فلم أشعر إلا بالفتاة الجميلة من الفتيات تأتي إليّ وتلصـق بي تريد أن تظهر معي في الصورة وقد ابتعدت عنها مأخوذاً بالمفاجأة، لأنني لم ألق لها بالاً من قبل، ولئلا يلتقط الدليل لي صورة لم أرض بهـا، وقد بان العجب عليها من امتناعي عن التصوير معها فقلت للدلـيل: قـل لها: إنني رجل متزوج، ولا أريد أن أصور مع امرأة غير زوجتي، وأنا أيضاً مسلم لا يجيز لي ديني أن تكون امرأة تلصق بي.

وقـد أفهمها الدليل ذلك إلا أنه أجتهد من دون أن أقول له ذلك بأن أمرها أن تقف بعيداً على جانب النصب منفصلة عني والتقط الصورة.



الدليل السائق الهندي المختلط على ساحل المحيط في جوابسوًا

وقد ذكرني هذا بموقف مخجل لي آخر وهو أنني كنت في جزيرة موريا من جزر تاهيتي الواقعة في أقصى جنوب المحيط الهادئ، وكنت وحـــدي فمـــررت بـــثلاثة من الفرنسيين، و(تاهيتي) أرض من الأرض الفرنســـية فـــيما وراء البحار ومهم ثلاث فتيات من أهل البلاد، وكانوا منبطحين في ظل شجرة من الأشجار فطلبت من أحد الشبان أن يلتقط لي صـــورة تذكارية في ذلك المكان لأنني وحدي، فأخذ المصوِّرة مرحباً، وقبل أن يلتقط الصورة سارعت إحدى الفتيات لتلصق تريد بذلك أن تلتقط المصـــورة صورة تذكارية لتلك الجزر البعيدة فأسرعت ابتعد عنها وأنا أطلب من الفتى الفرنسي ألا يصورني، ثم أفهمتهم السبب في عدم رغبتي في التصوير مع الفتاة بمثل ما أفهمت به هذه الفتاة البرازيلية.



المؤلف في شارع قديم في (جوابسوًا)

ثم وقفنا في ميدان صغير في قلب المدينة القديم أيضاً اسمه (براسادو أدا وتو) فيه عدة ألعاب للأطفال يستعملها الأطفال بالمجان منها أراجيح وأماكن انزلاق ونحو ذلك.

دار البارود:

سلكنا أقدم شارع في المدينة كما قال الدليل ووقفنا فيه على منزل اسمه: (كازا دا بوفورا) ومعناها: دار البارود وهو هذا البارود المتفجر وقد وجدناه مغلقاً وكان بودي الإطلاع عليه ولعل فيه ذكراً لتطور صناعة البارود وهو أمر يهمني بالذات لأن أسرتنا كانت تصنع البارود منذ زمن بوسائل محلية، وقد تركت ذلك منذ نحو نصف قرن.

و(دار البارود) هذه هي منزل مبني من الطين على الطريقة القديمة التي كانت تبنى بها البيوت في هذه المدينة ذو سقف ممال إلى جهة واحدة وليس مسنماً وذلك لكي تنزلق عنه مياه الأمطار.

وصعدنا إلى تلة عليها حي قديم يطل على نهر (باراييبا) الذي سميت باسمه هذه الولاية، وشوارع الحي مبلطة بالحجارة وليست بالأسفلت.

بدايات جوا بُسِوًّا:

انحدرنا من هذا الحي الشعبي إلى الحي الذي شهد بدايات مدينة (جوا بُسِوًّا) وكانت بداية عمارة المدينة في عام ١٥٨٢م كما سبق، وهذا العهد ليس بعيداً من عهد اكتشاف هذه المنطقة من البرازيل التي كانت بدايته في عام ١٥٠٠م تقريباً، إلا أن معظم البيوت في هذا الحي- إن لم تكن كلها- قد تغير شكلها، وتغيرت المواد التي كانت تبنى بها.

ويقع هذا الحي على ضفة نهر باراييبا.

وقد وصلنا إلى محطة الحافلات التي كنت وصلت إليها أمس قادماً من مدينة (ناتال) جاء بي إليها الدليل ليريني إياها من معالم المدينة، ولم أكن أخبرته قبل ذلك أنني وصلت إلى (جوبُسِوًّا) من ناتال.

وتقع هذه المحطة على شارع الشاطئ لنَهر بارايبا.

على نهر بارايبا:



منظر من نهر برايبا في جوابسوًّا

قضيت وقتاً في التمشي على ضفة نهر (بارايبا) لأن من كان مثلي من سكان الصحراء يعجبه أن يرى الأنهار وهي تجري في البلاد، إلا أن ضفة هذا النهر العظيم مهملة ليس فيها أي أثر للتنظيم فضلاً عن التجميل، بل إنها مثال للإهمال والاتساخ، حتى إن الجسر المقام على النهر قد تكسر جانباه واتسخ ما حوله.

وقد وقفت ومعي الدليل على كوخ من الخشب الرديء على ضفة هذا

النهر تسكنه امرأة مع أطفالها ورجلان لا أدري من هما بالنسبة إليها، وهم يعتبرون من (المولاتو) أي المختلطين، فوجدنا المنزل على غاية من البؤس وعدم العناية بل إنه يدل على الفقر، وعلى البعد عن النظافة والذوق الجيد.

وزاد المنظر سوءاً منظر خنزير رمادي اللون يتشمم الأوساخ والنفايات الملقاة على ضفة هذا النهر المهملة.

أما النهر فإنه يعتبر متوسط السعة، ولكنه مفعم بالمياه، ولو كان عندنا لنوهنا به، ولخلدنا ذكره بالمنظوم والمنثور.



مع أسرة برازيلية فقيرة في جواسوًا داخل بيتهم

وقد عجبت من هذا الإهمال في هذا الحي القديم، مع أنهم قد اعتنوا بشارع شاطئ البحر، وإن كان ذلك لا يصل إلى عناية المدن البرازيلية الأخرى في وسط البرازيل وجنوبها بمثل ذلك الشاطئ.

الأنبه في الشارع:

والأنــبة هــي الفاكهة التي صارت تعرف عندنا بالمانغو، واسمها القديــم في كتبنا اللغوية (الانبا) وقد عربها بعض المتأخرين إلى العمبة وأما المانغو فإنها لغة أجنبية استعملها الكتاب والمثقفون المتأخرون حتى مــن بنــي قومــنا جهلاً منهم بما كان عليه أسلافنا من العلم والمدنية، وتكاســلاً حــتى عــن البحــث في كتب التراث العربي القديم الزاخرة بالمعارف.



المترجم على ضفة نهر برايبيا

وذلك عندما تركنا ذلك الحي القديم وضفاف نهر بارايبيا المهملة بل المتسخة وسلكنا شارعاً في وسط المدينة ذا اتجاهين تفصل بينهما جزيرة

قد غرست فيها أشجار الأنبة: المانقو، فصارت ظليلة حدثني الدليل بأن ثمرها يدرك في شهر أكتوبر وأن الأطفال يلتقطونه، ولا تمنع الحكومة من يريد الأخذ منه، وبعضه يسقط على الأرض فيلتقط منها.

فقلت: هذا مثل التمر الذي يكون على أشجار النخيل المغروسة في شوارعنا.

الحديقة الطبيعية:

والحديقة الطبيعية هي المتروكة على طبيعتها من غير تغيير فأشجارها تنمو كما كانت تنمو قبل أن تمسها يد الإنسان، وأعشابها تحيا وتزدهر على الأمطار، ثم تموت كما تموت الأعشاب خارجها من دون تدخل، وتكون هذه الحدائق الطبيعية في الغالب ذات أشجار عالية تحتها أشجار أقصر منها تكون تحتها أعشاب طويلة أو أشجار لاطئة بالأرض وتحت ذلك الأعشاب المعتادة.



بيت شعبي على ضفة نهر برايبيا بجانبه خنزير

وتقـــع هـــذه الحديقة خارج مدينة جوابُسِوًّا على بعد ١٨ كيلومتراً خرجـــنا إليها من المدينة مع شارع ريفي مررنا قبله بضاحية من المدينة خضـــراء فـــيها دارات (فيلات) متفرقة ذات سقوف من الآجر الأحمر، وتوشحها أشجار النارجيل النضر.

ومررنا بشاطئ البحر فرأينا مباراة في كرة القدم قد حضرها جمع كبـــير مـــن الناس مع أنها ليست مباراة رسمية، ولكن هكذا القوم يحبون الرياضـــة، ويشجعون الفرق الرياضية إضافة إلى كون اليوم السبت هو يوم عطلة عندهم.

ولـــم نطـــل لبثـــنا في الحديقة، وإنما عدنا إلى الفندق بعد الواحدة وانتهـــت بذلك هذه الجولة السياحية، وإن كانت أجرتها وأجرة الدليل لا تـــزال ديـــناً علـــيَّ إلى الوقت الذي استطيع أن أغير الدولارات فيه إلى كروزادات.

وتغديت بعد ذلك غداء ممتازاً في مطعم الفندق الممتاز كان عماده الأربيان وهو صغار السمك المسى عندنا بالروبيان وفي مصر الجمبري وـــله أسماء كثيرة حتى إن له اسمين شائعين بالإنكليزية وهما (شرمب) و(برون) ومع أربيان السلطة والأرز والحلوى والقهوة ووقعت على ثمن ذلـــك فـــي ورقة للفندق بـــ ١٢٠٠ كروزادو وذلك يقل قليلاً عن أربعة دولارات أمريكية.

أصيل الشاطئ:

لم يكن لديَّ ما أفعله بعد ظهر اليوم فتخففت من اللباس وعلقت في يدي نعلين سبت (شبشب) لأنني ابتدأت السير من شاطئ البحر الذي يقع

علـــيه فندقـــنا وهـــو شاطئ المحيط الأطلسي وصرت امشي على رمال الشاطئ أتحدى البرد لأنه لا برد، وأتحدى من يراني سائراً بهذه الملابس الخفيفة لأنه لا أحد ممن يعرفونني يراني كذلك.

وبعـــد، فهـــذه الملابس هي السائدة في هذا المكان، والتمسك باللباس الطويل الثقـــيل هـــو الذي يلفت الأنظار، وقد يجر البوار إذْ يعرف السراق والمنتهبون أن صاحبه من قوم ليسوا من أهل هذه الديار، وهكذا يتعرض للأخطار.

ورأيـــت الـــناس موجوديـــن على رمال الشاطئ وليسوا بالكثرة التي كانت منتظرة، وذلك بسبب سقوط مطر كان قد كف عن السقوط قبل قليل.

وأكـــثر الذين رأيتهم هنا هم من المترفين الذين ربما كانوا يراقبون ســـقوط المطر للخروج إلى البحر ثم أخذ الناس يتوافدون على الشاطئ ومعهم أطفـــالهم، والكـــل بملابس البحر، لأنهم بالفعل على الشاطئ وقد خف غضب الأمواج فكأنها تقول لهم: إنه لا إحراج لهم ولا لغيرهم فيما يفعلون.

إذا لم تَصُـــن عرضـــاً ولم تخـــــش خالقاً
وتســـتحي مخـــلوقاً فما شـــئت فأصـــنع

وعلى ذكر هذا الأمر أقول: إنني عندما تمشيت البارحة فيما قرب مـــن الفندق وما حوله لم أر مظاهر تدل على ذلك فالكل يسيرون بشكل طبيعي، والله أعلم بما وراء ذلك.

وربمـــا كان هذا ناشئاً عن صغر المحلة القريبة من الفندق وكون أهلها يعرف بعضهم بعضاً، بخلاف ما عليه الحال في ريو دي جانيرو، ورصيفي حيث المدينتان من الكبر بحيث لا يعرف أهلها بعضهم بعضاً.



المؤلف بجانب أحد الفقراء في ضفة نهر برايبيا

ورأيت بائع جوز الهند الأخضر وهو ثمار النارجيل يبيع بضاعته علـــى الشاطئ في ظل نارجيلة فشربت من عنده ماء جوزة واحدة وهي تعــادل مـــا يملأ كأسين من الكؤوس المعتادة وماؤها بارد لذيذ وهو جيد للبطن، مدر للبول، ونقدت البائع ثمنه (٥٠) كروزادو ويساوي ذلك أقل قليلاً من سُدس دولار بمعنى أن الدولار الواحد يمكن أن يشرب به ستة أشخاص من ثمار النارجيل الغضة الريانة.

وهــذا رخص متناه، إذْ عهدت ماء النارجيلة الواحدة بنحو الدولار فـــي بعــض البلدان، والرخص في الطعام والشراب عام في هذه الولاية مثلها في ذلك مثل ولاية (ريو قراندي دي نورتي) وأما الفنادق فإن ريو قـــد تكون أرخص إلا في الفنادق الكبيرة التي تقع مباشرة على الشواطئ المزدحمة مثل شاطئ (كوبا كابانا).

وقــد اســتلقيت على رمال الشاطئ أرقب غيوم هذا القسم من بلاد البرازيل الواسعة وهو تغذ السير كأنما هي هاربة أو طالبة، واستمع إلى

الأمواج وهي تصافح الرمال، فتسمع لذلك ما تسمعه عندما تصافح الكف المشتاقة كفاً أخرى مثلها مشتاقة.

وجاء أطفال يلعبون فتكلمت معهم بما عرفته من البرتغالية فوجدتهم بسطاء بعيدين عن التكلف، أو التزمت مثل أهلهم، وقد جاء أهلوهم إليهم بعد ذلك فحيوا بابتسامة عابرة.

ومـــا رأيت متعة أعظم من متعة (التدروش) في بلد لا يعرف فيها الإنســـان، فهـــو يستطيع أن يلبس ما يشاء ويمشي إلى ما شاء في نطاق أعراف البلد وما يقبله أهله.

ثـــم إنه وهذا المهم- ليس مقيداً بموعد، أو خائفاً من فوات وقت- ولا وجلاً من عتب صديق قريب.



ضاحية في جوابسوًا- ولاية برايبيا

وتمشية الليل:

وقد أطلقت ساقي للريح بل ركضت كما كنت أركض وأنا صغير، وما من لائم على ذلك لأن الركض عندهم صار رياضة يقوم بها حتى المتزمتون، ولا يتركها إلا من لا يستطيعون.

ثم عدت إلى الفندق مع غروب الشمس فصليت المغرب والعشاء جمعاً وقصراً، ولبست ملابس طويلة ولكنها خفيفة لأنها سروال غليظ (بنطال) وقميص قصير الكمين، وخف خفيف، وسرت فيما حول الفندق مما يلي المدينة أي خلاف الجهة الموالية لشاطئ البحر.

ولم أعدم من أحادثه لأن فضولي يدفعني إلى ذلك وغربتي تشفع لي عندهم في الحديث، كما تدفعهم إلى الحديث مع هذا الغريب الذي كثيراً ما يسألونه عما رأه في بلدهم وهل أعجبته؟ أو على الأقل يسألونه ماذا أعجبه فيها؟

ولاحظت أيضاً في هذه الليلة ما لاحظته في الجولة البارحة في كون تصرفات الناس معتادة- وسير الناس سواء منهم رجالهم ونساؤهم ليس فيها ما يريب.

يوم الأحد ١١/١٢/١٤٠٨هـ- ٢٤/٧/١٩٨٨م:

أصبحنا على جو غائم وسماء تُرسل رذاذاً خفيفاً لا يشتكي المرء منه برداً لأنه في منطقة تعتبر من المناطق الاستوائية، حتى إنه لم يمنع بعض الناس من الاستلقاء على رمال الشاطئ لأنهم بملابس لا يخشون عليها البلل، فكأنهم يقولون ما يقوله الشاعر:

أنا الغريق فما خوفي من البلل

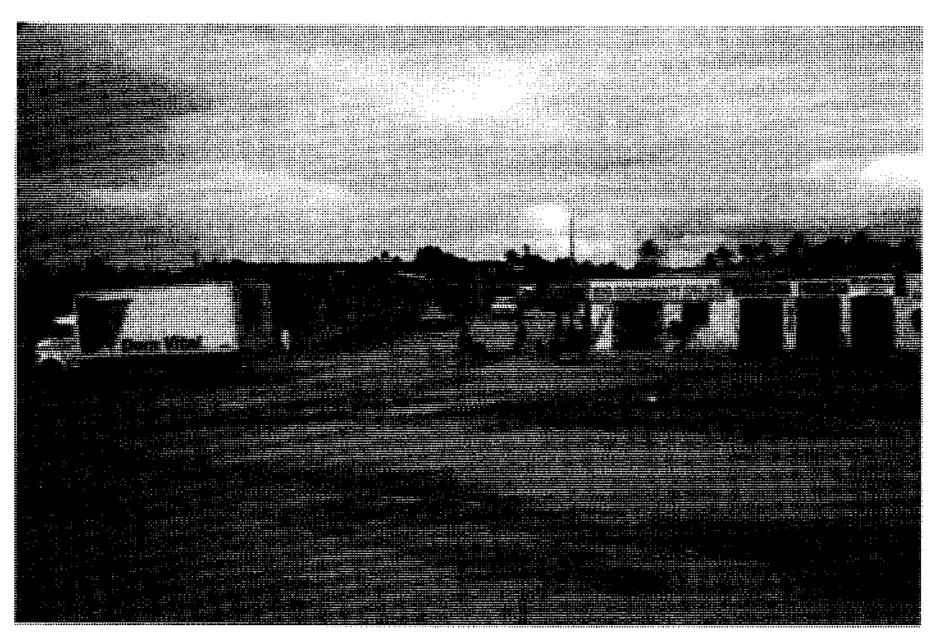
وقد دخلت سوقاً بجانب الفندق فوجدت فيه حانوتاً مفتوحاً رغم يوم

العطلة الأحد فصرف لي الدولار بـــ ٣٢٥ كروزادو، فأسرعت أعود إلى إدارة الفـــندق، أخـــبر المسؤولين فيه أنني سأغادر اليوم وأدفع إليهم ما أقرضوني من مال كما دفعت للدليل الذي يعرف الإنكليزية أجرته..

وقد دخلت على مدير الفندق مودعاً وشكرته على ثقته بي مع أنه لم ير جوازي ولا يدري إلى أي بلد أنتمي.

مغادرة جوابُسِوًّا:

ودعت أهل الفندق كلهم وبعضهم قال: أرجو أن نراك ثانية، وذلك أنني وضـــعت في أيديهم شيئاًمن الحلوان (البخشيش) واستأجرت سيارة نقلتني إلى محطـــة الحـــافلات فـــي المديـــنة، وتبعد ١٥ كيلاً من فندقي وذلك بـــ ٧٥٠ كروزادو أي دولارين ونصف مع أنها كانت عند القدوم ألف كروزادو، وذلك أنني لم أسأل سائق سيارة الأجرة أمس عن الأجرة قبل الركوب.



قرب محطة الحافلات في ضاحية في جوابسوًّا

ودفعت أجرة الركوب في الحافلة إلى (رصيفي) (٤٠٠) كروزادو وتســاوي دولاراً أمريكياً وربعاً لمسافة تبلغ ١٣٠ كيلومترا وهذا رخص متناه لأن الحافلة نظيفة، ومقاعدها جيدة الإعداد والتنجيد حتى إنها تندفع إلـــى الخلف إذا أرادالراكب أن يمد جسمه كما تفعل مقاعد الطائرة، وقد كان ركوبي في صف وحدي فلم يكن بجانبي راكب جالس، وهذا يريحني كما كان عليه الأمر عندما قدمت من ناتال إلى هذه المدينة.

وأجــرة الحــافلات عــندهم رخيصة جداً حتى داخل المدن فمثلاً يستطيع المرء أن يركب حافلة تنقله من أقصى مدينة (ريو) الكبيرة إلى أقصاها بأربعين كروزادو أي ثمن دولارٍ امريكي أو نحو نصف ريال.

من جوَّا بُسِوَّا إلى رصيفي:



المؤلف في ضاحية جوابسوَّا

غادرت الحافلة المحطة في جانب المدينة القديمة الواقعة على نهر (بارابيبا) في الساعة الثانية إلا الربع ظهراً، فأخترقت ضواحي غير جيدة مـــن المدينة، ومررنا بسوق شعبية لم أستطع أن أصور منه شيئاً بسبب صعوبة وجود زاوية مناسبة للتصوير من السيارة ولمحت الموجودين في هذا السوق فوجدت أكثرهم من المختلطين والسود.

ثم خرجنا إلى الريف ولم نقل كما كان أسلافنا يقولون في مثل هذه الحالـــة إذا فـــارقوا عامر المدينة، وأصحرنا بمعنى دخلنا في الصحراء، لأن المـــنطقة هنا ليست صحراوية وليس فيها من طباع الصحارى شيء وإن كـــان تاريخها يعرف نوادر من سنوات الجدب والجفاف جفت فيها الأعشـــاب وهلكت الدواب بسبب قلة الأمطار حتى إن الأنهار صار يملأ مجاريها الغبار، ولكن ذلك كان يحدث في سنوات متباعدة ما يلبث زمن الجـــدب حـــتى يعقـــبه وقت الخصب فتهطل الأمطار الغزار أثناء الليل وأطـــراف الـــنهار، وربمـــا يتواصل سيلها المدرار، كما رأيت ذلك في جارتها رصيفي وذكرت ذلك في أول هذا الكتاب.



ريف جوًّا بسوًّا

والــريف هنا جميل فهو ريف معشب توشحه ربى خضر متطامنة تظللها أشجار النارجيل وترعى فيها الأبقار- ويذكر في هذه المناسبة أن تربية الحيوان في هذا الجزء الشمالي الشرقي من البرازيل هي أقل مما هــي علــيه فــي الجنوب فهنا تربى الأبقار ولكن على قلة وأما الغنم والضأن فإنهــا لا تكاد توجد هنا للتربية بمقادير كبيرة وإنما أماكن تربيتها وكثرتها هي في الجنوب حيث الجو معتدل يميل إلى البرودة وهذا هو الذي يلائم الأغنام.

هذا والحافلة غير مزدحمة إذْ لا يزيد الركاب على نصف مقاعدها، ولكــن ذلك لم يمنعها من القيام في الزمن المحدد لقيامها في الأصل من غــير تأخير وأخبروني أنها قد تقوم بأقل ذلك من الركاب ولا يحمل ذلك أهلها على تأخير قيامها طلباً للمزيد من الركاب.

وقد وقفنا في إحدى المحطات فصعد إلى الحافلة مفتش لطيف جداً فــي معاملته مع السائق والركاب رغم كون دخل الحافلة ضئيلاً، وربما كان مرتبه ضئيلاً كذلك.

وحقول السكر:

أمعنــت الحافلة السير في الريف فكثرت حقول قصب السكر التي كانت كثيرة أيضاً فيما بين ناتال و(جوابُسِوّا) ولذلك ذكرت ما أخبرني به الدلــيل في صباح أمس عندما وقفنا على منزل الأديب الذي اشتهر أول الأمــر في كتاباته التي كشفت ما يعانيه عمال زراعة السكر من التعب، وضآلة ما يجنونه من الربح.



حقول قصب السكر بين جوا بسوًا ورصيفي

وقـد اتصـلت هـذه الحقـول الواسعة أو كادت، إذْ لا يفصل بينها إلا أراضٍ متروكة دون زراعـة تجللها الأعشاب وتظللها أشجار غير ملتفة من الأشـجار البرية، وربما كان ذلك بسبب ارتفاعها النسبي بحيث لا تصلها مياه الري المعتادة مع أنني لم ألاحظ أية قنوات تصل تلك الحقول بنهر أو قناة.

وقـد مضت الآن قرابة نصف ساعة على مفارقة ضواحي المدينة والولـوج إلـى الريف ومع ذلك لم أر قرى كبيرة فضلاً عن البلدان التي كان من المنـتظر أن توجـد في هذا الجو الزراعي الخصب، وإنما رأيت بيوتاً ريفـية متفرقة معظمها من لبن الأسمنت ذات سقوف مسنمة بعضها قد جمله أهله فصبغوه بصباغ كثيراً ما يكون أحمر، وبعضها متروك دون صباغ.

ولـيس علـى الطـريق أشجار مغروسة، وإنما عليه بعض الأشجار الكبيرة التي كانت موجودة قبل شقه، وبعضها قصير نبت وحشياً بعد ذلك.

ودخـل الحافلـة عـندما وقفت بائع يبيع الأشربة الباردة والحافلة تسير

فاشـــتريت مـــنه زجاجـــة من (الفانتا) الباردة بـــ٥٠ كروزادو أي نحو نصف ريال سعودي، ولم أتناول من شطائر كانت معه لأنني شككت في نظافتها.

وقد ظل الجو غائماً، ولكن دون مطر، والرحلة ممتعة فسير الحافلة معـــتدل، وتصرفات الموجودين فيها والذين ينزلون أو يركبون وقد نزل مـــنها أناس وصعد إليها آخرون كلهم في غاية الذوق والأدب، والمناظر جميلة وأجمل منها أنها غريبة عن بصر الغريب مثلي وبصيرته.

واقتربت حقول السكر من الطريق حتى صارت على حافته واتسعت أيضاً.

ثـــم انحـــدر الطـــريق إلـــى واد واسع خصيب مر فوق جسر على نهر فيه صغير، قد غرست ضفافه بحقول السكر لم يلبث أن تجاوز نهراً صغيراً آخر.

وبعـــد مســـافة غير طويلة وصلنا نهراً ثالثاً وليس في الحافلة من يخـــبرنا بأسمائها لأنه ليس فيهم من يعرف الإنكليزية مع أنني لم أسألهم كلهـــم وإنما سألت اثنين منهم ثم ظننت أن الآخرين مثلهم فأيست من أن أجد منهم من يتحدث معي بالإنكليزية.

وقـــد حسن منظر البيوت الريفية وربما كانت أماكن استراحة لأصحاب هذه المزارع فهي حسنة المظهر مبنية بآجر أحمر وذات سقوف حمر أيضاً.

ثم انهمر المطر وصارت السحب الثقيلة ترسل المطر مدراراً على حقول قصب السكر التي تبدو وكأنما هي ريانة قبله ولا تحتاج إليه فضلاً عن وجود هذه الأنهار التي لا أدري أتحتاج إلي مياهها أم لا، فقلت في سري، لأنه لا أحد يفهم جهري: سبحان من يعطي ما يشاء لمن يشاء.



الطريق بين جوا بسوًا ورصيفي

وتبادر إلى ذهني ما إذا كان أهل البرازيل قد شكروا الله تعالى على هــذه الــنعمة التي أولاهم إياها؟ وما إذا كان المراد بذلك أن يزيدوا من عمارة الأرض واستصلاحها وإنتاج ما يعيش عليه الإنسان والحيوان من طعــام، أم أن الشـــكر يقتصر على شكر الله تعالى وحده بالقلب واللسان واستعمال ما تنتجه الأرض في طاعة الله واجتناب ما يأمر به الشيطان.

وقلـــت: إذا كـــان المقصود بالشكر هو الأول فإنهم قد فعلوه، وقد حصلوا من جزائه على ما استحقوه، وإذا كان المراد بذلك المعنى الثاني فـــإنهم أبعــد مـــا يكونون عنه حتى بالنسبة إلى دينهم الذي ينتسبون إليه وكلهـــم أو جلهم ينتمون إلى المذهب الكاثوليكي من الدين المسيحي الذي يحـــرم أكثر الموبقات التي عُرفوا بمقارفتها، حتى لم يعودوا يستنكرون وجودها، و(إذا كثر المساس، عدم الإحساس) كما كان يقال.

هـــذا وقـــد برد الهواء بعد نزول المطر إلا أن الجو لم يكن بارداً وعندما أشرقت الشمس بعد المطر الغزير كانت اشعتها حارة، بل لاهبة، إلا أن الهواء ظل بارداً بسبب ما ذكرته من المطر، وبسبب قرب المنطقة من البحر المحيط.

قصب السكر يجلل الأرض:

زاد خصب المنطقة وانقلبت الأرض كلها رباها وسهولها ووديانها حقولاً نضرة من حقول قصب السكر، ولم أر غيره من المزروعات حتى الأشجار، وقد مررت بمنطقة من الأرض غير محروثة رايتهم أحرقوا أعشابها وأشجارها حتى يعدوها لزراعة قصب السكر.

وقد ساءت حال الطريق وكانت حسنة قبل ذلك وإن كان لا يزال واحداً للسيارتين المتقابلتين.

قبل الوصول إلى رصيفي:



قبل الوصول إلى رصيفي من جوابسوًا

تبقى على الوصول إلى مدينة رصيفي نحو ٤٥ دقيقة فازدادت العمارة في الريف وظهرت أشجار النارجيل الأصفر الثمار، وكان النارجيل الذي في الطريق قبل ذلك ذا ثمار خضر لا تصفر أبداً، وكثرت أشجار الموز ووجود الموز والنارجيل في أرض يدل على أنها أرض حارة رطبة.

ثم وصلنا عدة قرى ريفية صغيرة.

وعندما لم يبق على الدخول للمدينة إلا نصف ساعة بدأت المصانع الكبـــيرة في الظهور، وشاهدنا بعضها في اتجاهات متفرقة من الطريق واصبح الطريق مزدوجاً.

الرجوع إلى رصيفي:

دخلـــناها مـــع شارع عريض مزدوج والمطر يهطل بغزارة، وكان الدخول مع حي شعبي تنتصب فيه أشجار النارجيل، وفيه بيوت سيئه المظهر.

وكانت الشوارع مفعمة بمياه الأمطار كما كانت الحال عندما تركتها قــبل أيــام، وخشيت أن يتكرر منها ذلك هذا اليوم ويوم غد، مع أنني لا أحتاج فيها الآن إلا لكتابة ما رأيته في الولايتين اللتين زرتهما بعدها.

وشـــعرت وأنــا أدخل (رصيفي) بأنني قريب من الوطن، إذْ من المقرر أن أســافر منها إلى باريس ومن باريس إلى جدة، وناهيك برحلة يكون الوصول فيها إلى (رصيفي) الواقعة في شرقي البرازيل مبشراً بالرجوع إلى الوطن.

وذلـــك فـــي نهاية هذه الرحلة الطويلة التي شملت أربع قارات هي آسيا واستراليا وأمريكا الجنوبية وأوروبا التي سأسافر إليها قريباً بإذن الله.

ودخلـــت عـــائداً إلى فندق (بوفياج) تحت المطر الغزير كما دخلته من قــبل، واســتقبلني أهله الموظفون فيه كما يستقبلون الصديق، وأنزلوني في غرفة تطل على البحر المحيط واستعدت ما أودعته عندهم من دون نقص أو تغيير.

ومـــن (رصيفي) توجهت مع الخطوط الفرنسية إلى باريس، ثم من هناك مع الخطوط السعودية إلى جدة، ولله الحمد.

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) فـــي إفريقـــية الخضـــراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- بيروت، دار الثقافة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلـــة إلـــى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا- الرياض، دار العلوم، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين- الرياض، النادي الأدبي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٤) جولـــة فـــي جزائـــر الـــبحر الزنجـــي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي- الرياض، المطابع الأهلية للأوفست، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان- الرياض، جمعية الثقافة والفنون، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

(٦) صـــلة الحديـــث عـــن إفريقـــية مشـــاهدات وانطـــباعات وأحاديـــث عن الإسلام والمسلمين- نشرته دار العلوم في الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشـــاهدات فـــي بـــلاد العنصـــريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين- نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالـــة علـــى نهاية العالم الجنوبي- مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيـــارة لســـلطنة بـــروناي الإسلامية- طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست، عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شـــهر فـــي غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين- الرياض، المطابع الأهلية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) فـــي نيـــبال بـــلاد الجبال- رحلة وحديث في شؤون المسلمين- الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحـــلات في أمريكا الوسطى- المطابع الأهلية للأوفست في الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي- الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) علـــى ضـــفاف الأمـــازون، رحلـــة في المنطقة الاستوائية من البرازيل- نشره النادي الأدبي في أبها، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) علـــى قمـــم جبال الأنديز- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) فـــي بـــلاد المســـلمين المنســـيين: بخـــارى ومـــا وراء النهر- طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) بقـــية الحديث عن إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

(١٩) جولـــة في جزائر البحر الكاريبي- مطابع الرياض الأهلية للأوفست، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

(٢٥) جمهورية أذربيجان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية- نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان- طبع ببيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال- طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) في جنوب الصين- طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في ألمانيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقية- محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكري- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القرم- نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجريا (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان- نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية- نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غينيا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) إطلالة على أستراليا- طبع في مطابع التقنية للأوفست- الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا – نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور- مطابع النرجس التجارية، الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك (من سلسلة الرحلات الهندية) مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) العودة إلى الصين (من سلسلة الرحلات الصينية) طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية- طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٩هـ.

(٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي (من سلسلة الرحلات القوقازية) طبع في مطابع التقنية للأوفست، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٢) بلاد التتار والبلغار (من سلسلة رحلات الشمال) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي- طبع مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة- مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٥) تائه في تاهيتي- طبعته مطابع التقنية، الرياض،١٤٢٠ هـ.

(٦٦) نظــرة إلــى الفلبيــن بين زيارتين: رسمية وخاصة، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفيتي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٨) نظــرة إلــى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصــى جــزر المحــيط الهادئ الجنوبي، طبع في مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٩) إقلــيما ســمارا وأستراخان (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا)، نشرته دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٧٠) فــي إندونيســيا أكــبر بــلاد المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٧١) قريــنادا وسانتالوســيا ودومنــيكا (من سلسلة الرحلات الكاريبية) مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٢) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياضن عام ١٤٢١هـ.

(٧٣) مــع العمــل الإســلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢١هـ.

(٧٤) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٥) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٦) فــي جــنوب البرازيل (من سلسلة الرحلات البرازيلية) مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٧) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٨) بلغاريا ومقدونيا (من سلسلة الرحلات في بلاد البلقان) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٩) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٠) بيليز والسلفادور (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨١) (العودة إلى ما وراء النهر) جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٢) (على سقف العالم) رحلة في التبت، وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي، بريدة، ١٤٢٢هـ.

(٨٣) الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨٤) بلاد العربية الضائعة (جورجيا) طبع في مطابع العلا، الرياض،١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢م.

(٨٥) الاعتبار في السفر إلى ماليبار (من سلسلة الرحلات الهندية)، نشره النادي الأدبي الثقافي في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٦) ذكريات من خلف الستار العقيدي، رحلة في شرق أوروبا وأحاديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٢هـ.

(٨٧) بالي، جزيرة الأحلام، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٨) غايتي من السفر إلى هايتي، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

(٨٩) إلى جنوب الشمال: بلاد السويد، طبع في مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢٣هـ.

(٩٠) وراء المشرقين رحلة حول العالم وحديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩١) إلمامة بجنوب الفلبين لحضور الاحتفال بافتتاح المباحثات السلمية بين الحكومة الفلبينية وجبهة تحرير مورو الإسلامية، ومشاهدات أخرى.

(٩٢) رحلة هونغ كونغ وما كاو، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢م.

(٩٣) إلى أقصى الجنوب الإفريقي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٤) شمال سيبريا (من سلسلة الرحلات السيبرية) مطابع النرجس، الرياض.

(٩٥) فوق سقف الصين: رحلة في الشمال الغربي من الصين، وحديث عن المسلمين، طبعته مطبعة العلا في الرياض.

(٩٦) إقليم أورنبورغ (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا) طبع في مطابع العلا في الرياض.

(٩٧) إلى إريتريا بعد ٣٦ سنة، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ.

(٩٨) الشرق الشمالي من البرازيل: رحلة في ولايات: برنانبوكو وريوقراندي دي نورتي وبارايبا (من سلسلة الرحلات البرازيلية) (وهو هذا الكتاب).

(٩٩) من غينيا الإستوائية إلى ساو تومي: رحلات في القارة الإفريقية.

(١٠٠) في غرب أستراليا (من سلسلة الرحلات الأسترالية) (تحت الطبع).

مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

(١٠١) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات)-نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(١٠٢) أخبار أبي العيناء اليمامي- طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(١٠٣) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبدالعزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(١٠٤) كتاب الثقلاء- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٠٥) نفحات من السكينة القرآنية- طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس- نشرته دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣هـ.

(١٠٦) مأثورات شعبية- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٠٧) سوانح أدبية- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٠٨) صور ثقيلة- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٠٩) العالم الإسلامي والرابطة- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

(١١٠) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء، مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١١١) المقامات الصحراوية- مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١١٢) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة- بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية- نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي، الرياض، ١٤١٩هـ.

(١١٣) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، نشرته جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١١٤) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة)- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة، ١٤١٩هـ.

(١١٥) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبدالعزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(١١٦) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(١١٧) الدعـــاة إلــى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١١٨) واجــب المســلم فـــي بلاد الأقليات، نشرته رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠م.

(١١٩) (العـــالم الإســـلامي: واقـــع وتوقعـــات) نشـــرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها.

(١٢٠) الدعـــوة الإســـلامية وإعداد الدعاة، طبعته مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٢١) (حِكَمُ العوام)، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٢٢) فـــي لغتـــنا الدارجـــة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، في أربعة مجلدات.

(١٢٣) حكايـــات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـ.

(١٢٤) أثـــر الأقلـــيات المســـلمة فـــي الدعوة الإسلامية، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(١٢٥) الكـــناية والمجـــاز فـــي اللغـــة العامـــية، نشـــرته مجلة الدرعية التي تصدر في الرياض، ١٤٢٣هـ.

(١٢٦) أماكـــن قديمـــة العمـــارة فـــي القصيم، نشرته مكتبة العبودي في بريدة لصاحبها صالح بن عبدالله العبودي.

الفهرس

